أ . د . حلمي محمد القاعود

إنسانية الأدب الإسلامي

لقطات حول طبيعته ومنهجه وأبعاده

بسم الله الرحمن الرحيم

استهلال

أحمد الله وأصلى وأسلم على خير أنبيائه وآله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين ..

وبعد :

فهذه رسالة قصيرة حول إنسانية الأدب الإسلامي بوصفه حركة تجديد للأدب العربي الحديث أو المعاصر ، وآداب الشعوب الإسلامية الأخرى ، وتشمل لقطات سريعة وخاطفة كتبتها على فترات متباعدة فرضتها مناسبات معينة ، ولكنها في مجموعها تكشف أهم ملامح هذا الأدب الذي يستعيد للأمه هويتها الضائعة ، وخصائصها المطموسة بفعل تأثيرات صاخبة ، وعواصف عاتية هبت من هنا وهناك ؛ لتنال من تماسك المجتمع العربي ، وتستبدل قيمة بأخرى غريبة ومسمومة .

ولعل في هذه الرسالة القصيرة ما يحفز أدباءنا على مراجعة كثير من المواقف والتصورات ؛ التي تجعل من أدبنا عنصرا بنّاء لمستقبلنا ، وعامل استعادة لدورنا الحضاري الذي فقدناه بفعل عوامل كثيرة لا مجال للإشارة إليها هنا .

ولعلى أوفق بإذنه تعالى لمعالجة فكرة الأدب الإسلامى وتطبيقاته في بحث أكاديمى يتسع لقضاياه العديدة ، ويؤصل لارتباطه بحضارتنا على مدى أربعة عشر قرنا من الزمان هي عمر الإسلام .

[***تم بحمد الله إصدار كتابي : الأدب الإسلامي – الفكرة والتطبيق ، عقب صدور الطبعة الأولى من هذا الكتاب عن دار النشر الدولي بالرياض***] .

واسأل الله أن ينفع بهذه الصفحات ، وأن تكون إضافة مفيدة لعشرات الأبحاث التي سبقت في هذا المجال . وهو سبحانه ولىّ التوفيق .

د. حلمي محمد القاعود

المجد بحيرة في ٢ من شوال ١٤٢٧ هج
٢٥ من أكتوبر ٢٠٠٦ م

إنسانية الأدب الاسلامى

يرى بعض الناس أن الأدب ينسب إلى اللغة لا الدين ، وهذه الرؤية قد تكون صحيحة إلى حد ما ؛ ولكن الأصح أن ينسب الأدب إلى المفهوم الذي يصدر عنه ، فالأدب الذي يكتبه كاتب ماركسي غير الذي يكتبه كاتب وجودي ، فكل منهما له مفهومه الخاص للحياة والكون والواقع وما وراء الواقع ؛ حتى وإن بدا أن هناك قواسم مشتركة بين كل منهما ، فالتمايز في الرؤية والتعبير موجود لا محالة ، والأمر ذاته ينطبق على من يكتب بمفهوم إسلامى ، ومن يكتب بمفهوم غير إسلامى .

ومشكلة بعض الناس في العالم الاسلامى أنهم ينظرون إلى الأدب بمفهوم مغاير لمفاهيم الإسلام ؛ ومن هنا فإنهم لا يترددون في وصف الأدب الإسلامى بالطائفية والانعزالية، بل يضيفون صفة التعصب إلى المنادين به..

والأدب الإسلامى لا يمكن أن يكون طائفيا أو انعزاليا أو عنصريا لأسباب موضوعية وواقعية في آن واحد .

لقد جاء الاسلام ليكون عالميا وإنسانيا ؛ يمقت الطائفية بمعطياتها السلبية ، ويرفض العنصرية بأشكالها المتعددة ، ودلالاتها البغيضة وفى الوقت ذاته دعا إلى التفتح والتماس الحكمة لدى الآخر أيا كان هذا الآخر وحيثما كان ، ولو كان فى الصين ؛ أبعد نقطة بالنسبة للمسلم فى بداية عصر الإسلام .

وفى العالم العربى والإسلامى لا يمكن أن يكون الإسلام طائفيا ، ويستحيل أن يكون المسلمون طائفة أو جالية ، فهم الأغلبية الساحقة التى من حقها أن تعبر عن نفسها ومعتقداتها دون أن تجد حرجا أو غضاضة ، ثم إن الأقليات غير المسلمة تجد نفسها داخلة تحت عباءة الثقافة الإسلامية إلى درجة كبيرة ، لأنها مظهر الحياة الاجتماعية العامة ، وعناصر هذه الثقافة مبثوثة فى كيانها ووجدانها ؛ بحكم التربية والعلاقات وطبيعة التسامح التى تميز الإسلام ؛ وإن كان هذا لايمنع من احتفاظ الأقليات بخصوصياتها الدينية والفكرية .

لقد حارب الإسلام العنصرية منذ بدء الدعوة ، وجمع الإسلام بين الأبيض والأسود ، والعربى والعجمى ، والفقير والغنى ، فى منظومة عقدية فكرية مدهشة ؛ ليس لها نظير مسبوق فى التاريخ ، وأقام أساس المفاضلة بين البشر على ركيزة التقوى " إن أكرمكم عند الله أتقاكم " (الحجرات :١٣)، والتقوى مفهوم شامل يتسع لإخلاص القلب لله والخوف منه وطاعته مع العدل واجتناب المظالم والبعد عن العدوان ونصرة المظلوم واحترام آدمية الإنسان أيا كان ، انطلاقا من قوله تعالى " ولقد كرمنا بنى آدم " (الاسراء

: ٧٠) ، وتكريم بنى آدم فى الآية الكريمة يشمل كل بنى آدم ؛ المسلم وغير المسلم ، العربى وغير العربى ، الأبيض والملون ، القوى والضعيف ، القريب والغريب ، الغنى والفقير ، لاتفرقة فى الإسلام بين آدمى وآخر فى حفظ الكرامة وصونها ، وما أكثر المواقف العملية التى سجلها التاريخ تطبيقا لهذا السلوك فى المحيط الإسلامى .

ولاريب أن الإسلام وهو يدعو إلى الحرص على آدمية الإنسان ؛ لا يجهل أهمية التفاعل بين بنى آدم ، واستفادة بعضهم من بعض ؛ فى شتى المجالات . ويخطئ من يتصورون أن الاسلام يدعو إلى العزلة أو التقوقع ، يقول الحق تبارك وتعالى :" يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم " (الحجرات : ١٣) ، وفى هذه الآية الكريمة بيان لأهمية التعارف بين الناس ؛ سواء كانوا شعوبا أو قبائل أو بلغة العصر دولا وأوطانا ، فالتعارف يتضمن المعرفة والمصالح المتبادلة والتفاهم المشترك والوعى بما لدى الآخر، وتحقيق التواصل الإنسانى فى إطار التقوى التى هى مناط التفاضل ؛ كما سبقت الإشارة .

إن أدبا يعبر عن القيم الإنسانية التى ترفض الطائفية والعنصرية والعزلة ؛ لهو أدب يعنى كل الناس ، وهو أدب إنسانى يجد فيه البشر على اختلاف ألوانهم ومشاربهم زادا من الخير ، وذخيرة من الأمل وطاقة من النور وبالتالى لا يمكن أن يكون أدبا طائفيا أو عنصريا أو داعية إلى العزلة والتقوقع .

هناك آداب طائفية ، وأيضا آداب مذهبية ؛ تعبر عن بعض الأقليات والفئات ، وللأسف فإن مضمونها الأنانى الذى يصدر عن تعصب طائفى أو مذهبى يجعل تاثيرها محدودا ، وإن كان يمنح من يتوجه إليهم مزيدا من الاشتعال الطائفى ،وربما العنصرى ، ويدفعهم إلى الشقاق مع الأغلبيات ، ويثير فيهم حمية التمدد والثورة والعنف ، وغالبا ما تكون نتائجه مدمرة وخطرة على الطائفة نفسها ، ولم يعد خافيا أن الدول الكبرى الاستعمارية تقف من وراء هذه الآداب الطائفية ، وتروج لها فى أجهزة دعايتها القوية ، وتمنحها الجوائز المرموقة -،ومع ذلك فإنه لا يتبقى منها نصوص ذات قيمة إنسانية عالية .

والحال ذاتها تنطبق على الآداب العنصرية التى تمجد القوة وسحق الضعفاء والهيمنة عليهم واستحلال بلادهم وثرواتهم ؛ ثم استعبادهم . وهذه الآداب منتشرة وموجودة فى دول الاستعمار القديم والاستعمار الجديد ، وتمثل وصمة فى جبين الإنسانية ، خاصة وأنها قد انتقلت من مرحلة الطبع على

الورق إلى التصوير على شاشات السينما والتلفزة وأشرطة الفيديو وشبكات الإنترنت – فيما يعرف بالأدب المصور .

إن ميزة الأدب الإسلامى أنه يفتح صدره للإنسانية جمعاء ، ولا يتعصب لطائفة أو جماعة أو جنس أو عرق ؛ لأن الإنسانية من أهم خصائصه ، ثم إنها تقدمه للعالم مصدر هداية وإصلاح وأخوة وأمل .

الأدب الإسلامى .. لماذا ؟

يتصور بعض الناس أن الدعوة إلى أدب إسلامى فى أيامنا الراهنة مسألة غير ذات معنى ، فكلنا مسلمون بحمد الله ، وما نكتبه ينبغى أن يكون إسلاميا بحكم التصور والانتماء والاختيار . وهذا أمر صحيح فى مجموعه لولا أنه يستدعى بعض التوضيح والبسط فى حدود المساحة المتاحة وبإيجاز يدركه القارئ العادى قبل القارئ المتخصص .

لقد تحول الأدب الجاهلى إلى أدب إسلامى بعد استقرار الدعوة الإسلامية ، ورسوخ مبادئها فى وجدان المسلمين وسلوكهم ، وقد أضيف إلى المفاهيم النقدية فى صدر الإسلام مايسمى بالمعيار الخلقى ، ويمثلون لذلك بقصة الحطيئة والزبرقان بن بدر ؛ حيث قام الأول بهجاء الثانى ، فاستدعى عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - حسان بن ثابت الذى أقر بهجاء الحطيئة للزبرقان ، وكانت النتيجة حبس الحطيئة ، فقد أصر الحطيئة على الهجاء . وقيل إنه- أي الحطيئة - كان يهجو نفسه إن لم يجد أحدا يهجوه ، فاضطر عمر - رضوان الله عليه - أن يشترى منه أعراض المسلمين ؛ حيث خصص له مبلغا من المال ليسكته عن هجائه ، ويمنعه عن غيه .

المعيار الخلقى صار منذ ظهور الدعوة على أعدائها قيمة أصيلة فى الأدب العربى وأدب المسلمين ، فى مختلف لغاتهم بعامة ، ومن هنا ؛ كان هناك رفضٌ للخروج على هذه القيمة ، ودار حول أدب الهجاء وأدب الشراب والغزل الفاحش والغزل بالمذكر ؛ جدل كثير انتهى بإقرار القيمة الخلقية ، وإن كان بعضهم يخلط بين القيمة الخلقية والقيمة الفنية ، فالأدب الجيّد لابد أن يكون أصيلا وحقيقيا تدعمه المفاهيم الإيجابية والأخلاق الرفيعه .

وفى فترات الاستعمار الغربى لبلاد المسلمين بدات عملية تغريب المجتمعات الإسلامية ، وبثّ القيم الغربية التى تختلف فى معظم جوانبها عن القيم الاسلامية ؛ بهدف تيسير التبعية الإسلامية للغرب وتصوراته وسياساته ، ولا شك أن الاسلام كان وما زال يمثل صخرة صلبة ثقيلة تعوق خطط الغرب لتغريب المسلمين ، فأخذت هذه الخطط تعمل فى اتجاهات متعدده لتحطيم هذه الصخرة وتفتيتها ؛ فرأينا اللغة والقيم والأخلاق والعادات والتقاليد والمرأة والزواج والأزياء والعلاقات هدفا دائما للمخطط الغربى ، ولابد أن نعترف أنه حقق نجاحات ليست قليلة ، وخاصة فى مجال التعليم والثقافة والفكر والسلوك ، ثم إنه استطاع أن ينتج نخبة تدين له بالولاء والامتنان ؛ حيث ارتقت قيادة المؤسسات المؤثرة والوسائط الفعالة ، واستطاعت هذه النخبة فى أماكن كثيرة على امتداد العالم الإسلامى بفضل الدعم الغربى أن تحسّن الثقافة الغربية بكل سيئاتها ، وتقبّح الثقافة الإسلامية بكل حسناتها ،وأصبح الأدب فى هذا الإطار ، وخاصة الأجناس السردية

والدرامية (القصة ، الرواية ، المسرحية ، الملحمة) ميدانا عمليا لنشر الثقافة الغربية ، وتجلياتها الإيجابية والسلبية على السواء ، وتوارت الثقافة القومية فى دروب ضيقة وزوايا معتمة ، وصار مايعرض من أدب عربى أو غير عربى بأقلام ينتمى أصحابها إلى الإسلام لايعبر فى أغلبة الأعم عن تصور إسلامى ناضج أو قيم إسلامية رفيعة ، بل رأينا فيما ينشر تعبيرا عن واقع آخر غير الواقع الإسلامى ، ورفضا صريحا للمفاهيم الإسلامية حيث شاعت أفكار الدعوة إلى الإباحية ورفض المفاهيم البالية الرجعية (المقصود قيم الإسلام) ، ثم وهو الأخطر الدعوة إلى القبول بالآخر المعادى للأمة ؛ الغاصب لأرضها وثرواتها ، المهيمن على إرادتها القاتل لأحلامها وطموحها ، حتى وصل الأمر ببعض الأدباء العرب المسلمين إلى الدعوة للتعبير عما يسمى بأدب الجسد ، لأنه فى مفهومهم لم يعد هناك معنى لما يسمى بالأمه أو مايسمى بالوطن . انقلاب المعايير وانفلات القيم شمل معظم الأدباء المشهورين والمؤثرين على الساحة الأدبية والثقافية ، وإن ظلت بعض المواقع فى بعض البلدان الإسلامية بعيدة عن التأثير العنيف والكاسح لهذا الانفلات وذلك الانقلاب .

ولعل هذا مادفع ببعض الأدباء إلى الدفاع عن الأدب فى الأقاليم الإسلامية والدعوة إلى تجديده بما ينقيه من الآثار السلبية والتصورات المعادية والقيم الهابطة ، وسواء اتخذت هذه الدعوة شكل نداءات فردية يقوم بها بعض الأدباء أو شكل روابط أدبية وثقافية يقوم بها البعض الآخر ، فإنها دعوة واجبة خاصة فى زماننا الذى تشيع فيه نظريات وأفكار تسعى فى حقيقة الأمر إلى الهيمنة على الضعفاء واستلابهم وضمهم إلى معسكر العبيد المطيعين الذين لا يفكرون فى رفض الهيمنة أو الاحتجاج على الاستلاب والعبودية .

لقد اندفعت بعض الاتجاهات التغريبية إلى العمل صراحة ضد الإسلام وقامت بالدعوة إلى إقصائه من المجالات العملية والثقافية كافة ، بل وصل الشطط ببعضهم الآخر إلى وصم الإسلام بالجمود والرجعية والتطرف والارهاب ، بل سماه بعضهم فى وقاحة غير مسوغة بالإظلام . وهذا كله يستدعى ممن يحبون الإسلام ويحرصون عليه ، أن يدافعوا عنه ويدافعوا به ؛ ضد موجات التغريب والتبعية والإقصاء والاستئصال .

إن نظرة خاطفة إلى معظم الصفحات الأدبية والمجلات الثقافية وبرامج الإذاعة والتلفزة والندوات والمؤتمرات الفكرية فى العديد من بلاد المسلمين ؛ تؤكد على استبعاد الإسلام وتصوراته من واقع الأدب والثقافة والفكر ، بل وصل الأمر إلى حد حجب الأخبار الادبية والثقافية التى تخص أدباء أو

كتابا ممن يؤمنون بالتصور الإسلامى ومعطياته فى مجالات الحياه المختلفة ، ولعل هذا فى نهاية الأمر يؤكد على ضرورة أن يواصل الكتاب المؤمنون بالتصور الإسلامى الدعوة إلى الأدب الإسلامى ونشره وتوسيع رقعته ؛ فى مواجهة واقع التغريب والهيمنة والتبعية والإقصاء والاستئصال .

الحرية والإبداع فى منظور إسلامى

الحرية أول قيمة جاء بها الإسلام وتبدأ من خلال جملة التوحيد " لا إله إلا الله " ؛ ومعناها تحرر المسلم من كل ماعدا الله سبحانه فلا يخضع لإنسان أو ظرف أو موقف يتناقض مع توحيد الله سبحانه ، وما دام الإنسان حرا بهذا المفهوم ؛ فإن حركته الإنسانية أو ذلك الارتباط يجعل المسلم خاضعا للأوامر الإلهية ونواهيها ؛ لأن فيها النفع والخير والفلاح ، وهى جميعا تصب فى النهاية فى بحر الحرية بمعناها الإيجابى الممتد والإبداع الأدبى والفنى جزء من النشاط الإنسانى ، والأصل فيه تحقيق الحرية الإنسانية على وجه أجمل وأروع ، لأنه يقود الإنسان إلى آفاق رحبة ومضيئة ويكشف له معالم جديدة من الجمال والمتعة .

والحضارة الإسلامية على امتداد التاريخ أتاحت للإنسان المسلم فرصة الإبداع ؛ كما لم تتحها حضارة أخرى ، وذهب المبدع المسلم فى إبداعه إلى آفاق غير مسبوقة من الفن الجميل الذى يشهد على مرّ الأيام بقدرته على تناول كافة القضايا والأمور ؛ بما يقدم إضافة باهرة إلى التراث الإنسانى بعامة ، سواء كان إبداعه بالكلمة أو الريشة أو الأزميل أو فى مجال العمارة والزخرفة والخطوط وغيرها .

إن الفن الإسلامى موظف لخدمة الحرية التى تصنعها جملة التوحيد ؛ لذا يحظى هذا الفن بخصائص فريدة تجمع بين الجمال والجلال ، والخلود والرقى والتراث والتجديد .. على العكس من الحضارات المادية التى عبرت عن نزعة أرضية تختلف كل الاختلاف عن النزعة الإنسانية السامية للإبداع الإسلامى .

إن النزعة الأرضية تبدو أقرب إلى العدمية ، لأن أصحابها غالبا لا يؤمنون بالغيب ، ولا ينتظرون الآخرة ؛ لذا جاءت معظم أعمالها تدور حول الجسد والشهوة والقوة والهيمنة ، ومع تفوق أصحاب هذه النزعة فى التعبير الفنى عنها إلا إن إبداعاتهم وهى تخاطب غالبا الجانب السفلى فى الإنسان ؛ تفقد تأثيرها بتقادم الزمن وتوالى الأجيال ، لكن إبداع أصحاب النزعة الإنسانية يحقق مع مطلع الشمس كل يوم وجودا جماليا راسخا يمتع الأجيال .

وبصفة عامة ؛ فإن الفنون الجميلة ومنها فن الكلمة لابد أن تنطلق من قيم فنية وتقاليد أدبية ولا يوجد فن بدون قيم أو تقاليد ؛ لأن هذه القيم والتقاليد هى التى تفرز الفنان الموهوب من الفنان العاطل عن الموهبة ، وتكشف صاحب القدرة على الابتكار من ذلك الضحل المتواضع المستوى ، لذا نجد النوعية الأخيرة أكثر ميلا إلى الإطاحة بالقيم الفنية والتقاليد الأدبية بحجة

التجديد واختراق التابوهات ، وهذا زعم زائف يغطى على الإخفاق الفنى الذى يعانيه المنتمون إلى هذه النوعية الأخيرة .

إن الفنان المسلم كاتبا أو شاعرا أو رساما أو مهندسا أو غير ذلك ؛ هو دائما فنان مجدد ، لأنه يقدم الجديد إذا كان موهوبا بحق ، ولايوجد لديه مايسمى بالتابوهات أو المحظورات ، لأن التصور الإسلامى قادر على معالجة الموضوعات الإنسانية والفكرية كافة بمنطق الفن أو منطق الفكر ، فالكاتب المسلم مثلا يستطيع أن يعالج قضايا الاعتقاد والجنس والسياسة التى يعدها البعض تابوهات عربية معالجة صريحة واضحة جريئة وفقا لتصوره الاسلامى الصحيح ، ولكن الفارق بين الكاتب المسلم وغيره أن الأول يسعى دائما وخاصة فى مجال الفن والإبداع إلى الارتقاء بالذوق الإنسانى وإمتاعه بالكلمة والتركيب والصورة ، وتقديم عمل يدخل إلى دائرة الجمال والمتعة الحقيقية ، أما الآخر فإنه غالبا مايهبط إلى النصف الأسفل من الإنسان أو يخاطب الجانب البيولوجى المادى ، ولعل إخفاق الواقعيين والإباحيين فى كتاباتهم وتلاشى تأثيرهم الأدبى مايؤكد ذلك .

إن أمم الأرض تضع أسسا وقواعد لآدابها وفنونها بحيث لاتتجاوز حدودا معينة ، وإذا حدث تجاوز فإنه يظل تجاوزا أو شذوذا واستثناء ، وفى دول العالم المتقدمة يضعون خطوطا حمراء لا يتعداها الكتاب والمبدعون ، لأنها تتعلق بالمفاهيم الدينية أو القومية أو الوطنية أو الأمنية .

ولعل هذا يردّ على من يرون أن هناك حرية مطلقة فى الكتابة والإبداع ويريدون تطبيق ذلك فى واقعنا العربى والإسلامى . فالروائى أو الشاعر الذى يتجاوز آداب المجتمع وقيمه أو مفاهيم الدين وتصوراته ؛ إنما يصادم الأمه ويجرح مشاعرها . وحرص الأمة على دينها وقيمها يسبق أى شيء ،وهى مطالبة بالدفاع عن الدين والقيم مهما كانت النتائج لأن المسأله تتعلق بروحها ووجودها .

ولقد شهدت الفترة الأخيرة موجه من الأعمال ذات النزعة الأرضية التى تؤصّل لقيم ومفاهيم غريبة على المجتمع الإسلامى وتسعى إلى الترويج للإلحاد وسبّ الذات الإلهية وإهانة المقدسات ، والحديث عن الجنس بطريقة إباحية على طريقة أفلام البورنو . والخطير فى الأمر أن هذه الأعمال كانت توزع من قبل بطريقة شبه سرية ؛ ولكنها الآن انتقلت إلى العلنية وبرعاية رسمية من بعض الوزارات والمؤسسات مما يعنى شرا مستطيرا .

مسمى الأدب الإسلامى

مشكلة بعض الناس فى بلادنا العربة الإسلامية أن كلمة الإسلام تزعجهم وتقض مضاجعهم وتؤرقهم باستمرار ، وهم يحرصون دائما على ترديد مقولة : يا أخى هل أنت وحدك المسلم ؟ نحن أيضا مسلمون فلا تزايد علينا ، ولاتتحدث عن الإسلام وكأنك وكيل الله على الأرض ، ولا تصف فكرا أو مؤسسة بالإسلامى أو الاسلامية ؛ فهذا أدخل فى باب التجارة ، والبحث عن المنافع ودغدغة مشاعر الناس . وبعضهم لا يكتفى بذلك بل يدخل بالمسألة إلى اتهام كل من يتحدث عن الإسلام بالتطرف والإرهاب ، وبعضهم جعل من كلمة التأسلم عنوانا على كل المسلمين .

وهذا منهج يحمل الكثير من الخلط والغلط والتناقض والافتئات والظلم البين ، وأحسب أن الإسلام ليس عورة يخفيها المسلم أو يخجل منها ؛ خاصة فى زمن الهيمنه الصليبية اليهودية . أعلم أن بعض الناس عندنا يحاولون استرضاء الغرب الصليبى واليهود من خلال مقولات تظهرهم فى صورة " المودرن " المتناغم مع المعطيات الغربية وتجلياتها العنصرية الشريرة ، وأعلم أن بعض الناس يقوم بدور الوكيل الدائم للمستعمر الصليبى اليهودى فى هجاء الاسلام والمسلمين ، وأعلم أن بعض الناس أسفر عن وجه الخيانة الصريح ، ودعا لإلغاء ما يسمى بالأمة والوطن والدين ، ودعا إلى الاندماج فى حلبة العولمة أو اللحاق بقطار الأمركة ، ولكن المؤكد أن بلاد المسلمين تضم أعدادا غفيرة من المثقفين تؤمن بهويتها الحقيقية ، وليست على استعداد للتفريط فى دينها وأخلاقها وقيمها مهما كانت الترغيبات أو الترهيبات .

ويوم تحدث الناس عن أسلمة بعض جوانب الحياة التى تشكل خصوصية للأمة وتميّز منهجها الحضارى ؛ ومنها الأدب هاجت أقلام ، وثارت صحف ، وأرغت أبواق وأزبدت ، واستنكرت كيف نصف الأدب أنه إسلامى ، وقالوا إن الأدب أدب ، والأدب لادين له ، والعلم لا دين له وأرجعوا توصيف الأدب الإسلامى إلى التعصّب والرغبة فى شق الوطن وخدمة البلاد الصحراوية والثقافة الصحراوية !

ومن المؤسف أن هؤلاء ينسون أن الثقافة هى الوجه الآخر للدين ، وهذه مقوله ت . س . إليوت – وهو أمريكى إنجليزى ، وليس مسلما ، ولابد أن تكون ثقافتنا انعكاس لديننا وتصوراته ، ولا أظن أن كاتبا فى العالم يصدر عن تصور محايد أو تصور لاتسانده عقيدة ما ؛ حتى لو كان إلحادا حيث يصير الإلحاد عندد صاحبه عقيدة ، وإذا كان العلم مادة محايدة لا دين لها

ولا وطن ، فإن الأدب والعلوم الإنسانية عموما لها دين ولها وطن ؛ وإن كانت بين الآداب العالمية والإنسانيات الدولية قواسم مشتركة فى القيم العليا والمثل الرفيعة .

وأحسب أن الأدب الاسلامى هو أدب الأمة العربية منذ بعثة النبى - صلى الله عليه وسلم - وإلى يوم الدين ؛ لأنه انعكاس لمفاهيمها وتصوراتها التى جاء بها الإسلام ، ومايخرج عن هذه المفاهيم وتلك التصورات شذوذ لا يقاس عليه ، ولكن هذا الأدب تعرض لحملة تغريب منذ دخول كرومر وأمثاله إلى بلادنا ، حيث أحل التصورات الغربية محل التصورات الإسلامية لدرجة أن وجدنا الآن من يتحدث جهارة وبلا خجل عن أدب الجسد بوصفه هو الأدب الذى ينبغى أن تعتمده الثقافة العربية المعاصرة ؛ فلا وجود لشيء أو معنى خارج الجسد.. لا إله ولا وطن ولا أمة . هذا هو ملخص الأدب الجسدى الذى يبشر به وكلاء الغرب الاستعماري الصليبى ، فهل كثير على بعض أبناء الأمة وهم يمثلون أغلبيتها الساحقة أن يتحدثوا عن الأدب الإسلامى بوصفه دعوة إلى الحرية والاستقلال والجهاد والأمل والمستقبل .

وعملا بالحرية التى أقرتها مواثيق الأمم المتحدة من حق المسلمين أن يعبروا عن أنفسهم وفق تصوراتهم وليس وفقا لتصورات غيرهم ؛ حتى لو كان هذا الغير مهيمنا على البلاد والعباد ، وعملا بالسيادة الوطنية والقومية فى بلادنا وأوطاننا من حق المسلمين أن يمارسوا التعبير الذى يناغى وجدانهم ويتفق مع خصوصياتهم ويميز شخصيتهم الحضارية ؛ كما كانوا قبل أن تدهمهم كوارث الاستعمار الصليبى واليهودى ، وتفرض عليهم أنماطا غريبة من التفكير والتصورات وعملا بإنسانية الإسلام وتكريمه للإنسان من حيث هو إنسان دون نظر إلى دينه أو جنسه أو طبقته أو موطنه .

من حق المسلمين أن يعبروا عن أنفسهم وذواتهم بكل حرية ؛ لأن مايكتبونه لا يمكن أن يكون طائفيا وخاصة إذا كانوا أغلبية ساحقة ، ولا يمكن أن يكون داعيا لفتنة طائفية ، وأتحدى أن يكتب مسلم صادق الإيمان أدبا طائفيا متعصبا يثير فتنة ، وأؤكد أن هناك من غير المسلمين من يكتب أدبا يثير الفتنة ، ويبذر التعصب ، ويكشف عن خيانة للوطن الذى ربى وآوى ، وللثقافة التى تسامحت وتعاطفت ، وللفكر الذى عدل وأنصف . والنماذج يعرفها كل من له أدنى صله بالأدب المعاصر فى مصر ولبنان على الأقل ، والذين يثيرون الغبار فى وجه الإسلام والأدب الإسلامى أول من يعرف أصحاب هذه النماذج ؛ ولكنهم للأسف لا يستطيعون أن ينبسوا

فى وجوههم ببنت شفة ، فجرأتهم الوحيدة على الإسلام والمنتمين إليه ؛ لأن السيد الصليبى الاستعماري أو اليهودى الغاصب يستبيح الإسلام والمسلمين .

إننى أتمنى من بعض الذين يتناولون الإسلام عامة ، والأدب الإسلامي خاصة أن يكفوا عن الاتهامات الظالمة لمن يتحدثون عن الأدب الإسلامي ويدعون إليه ، وإذا كانوا يرون أن هناك من ينتفع من وراء الدعوة إلى الأدب الإسلامي ؛ ويدغدغ مشاعر المسلمين فليقولوا لنا : من هو ؟ وما هى المنافع التى تعود عليه ؟ وما وجه دغدغة المشاعر الإسلامية ؟ولماذا يكون ذلك كذلك ؟ إذا فعلوا هذا تأكدنا من صدقهم ، وآمنا بمقولاتهم .

أما الاتهامات الغوغائية فلا تليق بحملة الأقلام حتى لو كانوا يخالفوننا فى الرأى والعقيدة .

الأدب الإسلامى عمره أربعةعشر قرنا

المسافة بينى وبين " سيد خميس " ؛ قصيرة وليست بعيدة كما يتوهم بعضهم ، فهو يسعى لمواجهة الظواهر السلبية فى المجتمع ، ويجتهد فى وضع أسس المعالجة ، ويستعين على ذلك بأسلوب محكم متدفق ؛ ساعدت عليه خلفيته الأزهرية وحفظه للقرآن الكريم .

واردٌ أن يكون هناك خلاف مع وجهات نظره ، وواردٌ أن تكون فيها بعض الحدة ، ولكن هذا أو ذاك لا يمنع من الحوار ، ولا يلغى المناقشة فكل كاتب مخلص لكلمته ورؤيته له الاحترام والتقدير ، أيضا له منا الاستجابة والتفاعل حتى نحقق بالحوار ثمرة ناضجة ، ونصنع بالمناقشة فكرة مبدعة ، وإذا كانت الساحة الثقافية يسيطر عليها بصفة عامة منطق حوار الطرشان ؛فإننا نأمل أن تزول هذه الخاصية ، وأن يقترب المثقفون من بعضهم على المستوى الإنسانى أولا ؛ فلا ينفى بعضهم بعضا ، ولا يتصور فريق أنه الأحق بالوجود والآخر أجدر بالإعدام .

ضرورى أن نزيح منهج الاستبداد ليحل مكانه منهج التحاور، وهو المنهج الذى أرسى دعائمه الإسلام وأشار إليه القرآن الكريم فى أكثر من موضع .

ما كتبه سيد خميس حول الادب الإسلامى وفوضى المصطلحات والتدين الشكلى ؛ يحتاج إلى مجلد كبير لمعالجة قضاياه ومناقشتها ، ولكننى أستسمحه أن أشير إليها خطفا فى السطور التالية ، مع تأكيدى أننى أشاطره ثورته على بعض السلبيات فى المجتمع الإسلامى وإن كنت أختلف معه فى النظرة إلى أسبابها وطرائق معالجتها .

الأدب الإسلامى هو أدب الأمة الإسلامية منذ بعثته- صلى الله عليه وسلم - أى منذ أربعة عشر قرنا . وقد أحدث الإسلام فى النفوس والقلوب تغييرا ضخما نقلهم من عبادة الأوثان ووأد البنات وقيم الجاهلية الأولى ؛إلى عبادة الله وإقامة مجتمع الرحمة والمساواة والعدل والشورى والرفق بالإنسان ؛ أى إنسان . وكان لابد أن تتغير المفاهيم والتصورات ، وانعكس هذا التغيير على الأدب شعرا ونثرا ؛ فلم يعد مقبولا من شاعر مسلم أن يشيد بالأصنام أو يشرك مع الله أحدا أو يدعو إلى ترك العبادات أو التحلل من القيم والأخلاق ، وكان موقف القرآن الكريم من الهجاء ومهاجمة الإسلام صريحا فى قوله تعالى : " والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون ؟ وأنهم يقولون مالا يفعلون؟ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا ، وانتصروا من بعد ماظلموا ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون " (الشعراء ٢٢٤- ٢٢٧) .

ثم كان موقف الرسول – صلى الله عليه وسلم – من دعم حسان بن ثابت وعبدالله بن رواحة وكعب بن زهير – رضوان الله عليهم - لمواجهة شعراء الهجاء من قريش ، ثم كان موقف عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – من حبس الحطيئة حين هجا الزبرقان بن بدر ، وشراء سكوته بالمال ؛ حرصا على أعراض المسلمين .

تغير الشعر وتغير الشعراء تبعا لتغير المفاهيم والتصورات ، وبقيت التقاليد الفنية التى تطورت وفقا لتطور الثقافة والحضارة ، وعاشت الأمة الإسلامية طوال عمرها تتحرك من خلال مفاهيم الإسلام وتصوراته فى ثقافتها وحضارتها . قد يحدث شذوذ أو استثناء هنا وهناك ، ولكن الأساس باق ، وقد تتعثر الأمة فى فترة من الفترات وتتراجع ثقافتها وحضارتها فى زمن من الأزمان ؛ بيد أن رؤيتها للكون والحياة والقضايا تنبع من مصدر أساسى حتى لو أضيفت إليه بحكم المكان والزمان إضافات وزيادات .

ولا ريب أن العالم الإسلامى المعاصر – مع هزيمته وتشرذمه وتخلفه – له رؤية تختلف عن رؤية العالم الصليبى الاستعمارى ؛ كما تختلف عن رؤية أهل الصين والهند واليابان وجمهوريات الموز . الرؤية والتصور والمفهوم أساس الابداع وفلسفة التعبير ؛ ومن ثم فإن أدب الأمة الإسلامية بلغته العربية أو الفارسية أو التركية أو الأردية أو الإنجليزية أو الصينية أو المالاوية ؛ هو أدب إسلامى ، لأن الذين يكتبونه مسلمون تحكمهم النظرة الإسلامية للوجود والتزاماتها ، والأمر ذاته ينطبق على الأدب الماركسي والأدب الوجودي والأدب الأوربي المسيحي .

لا غضاضة إذا من وصف أدب أمتنا بالأدب الإسلامى لأن الإسلام هو ديننا الذى لا نستطيع أن نتخلى عنه ولا نخجل منه ، حتى لو وصلنا إلى حضيض الضعف والمذلة والهوان على يد المستعمرين الأشرار أو خدامهم من المستبدين الأوغاد .

أعلم أن هناك حساسية شديده تجاه كلمة الإسلام ، وبعضهم يصاب بالحساسية الشديدة (الارتيكاريا) ، كلما ذكر الإسلام وبعضهم يجد فرصته الذهبيه - وخاصة فى هذه الأيام - ليهاجم الإسلام وظواهره الإيجابية والسلبية فى آن . وبعضهم ينتشى وهو يكفّر المسلمين ويصفهم بالمتأسلمين أو الظلاميين أو السلفيّين أو الأصوليين أو الإرهابيين أو المتطرفين ، ولكن هذا كله لا يمنع من أن يكون هناك أدب إسلامى ينبع من التصور الإسلامى للكون والحياة ويختلف عن آداب عالمية أخرى تكرس العنصرية أو الطبقية أو الاستعمار أو احتقار الآخر أو الإلحاد أو أدب البورنو إن صح أن يسمى أدبا .

ويعلم سيد خميس أن الإسلام ليس دين كهنوت ؛ ولكنه دين حياة ، لا قداسة فيه لأحد غير الله ، ولا عصمة فيه لمخلوق غير النبى - صلى الله عليه وسلم - ولا يستطيع مسلم أن يُدخل مسلما الجنة أو يحكم عليه بدخول النار ، ومن ثم فإن الإسلام لا يمكن أن يكون دينا طائفيا محصورا فى جماعة محدودة ، ولكنه يتعدى هذه الجماعة برحابته الإنسانية ليشمل البشر جميعا على اختلاف عقائدهم ومذاهبهم ؛ انطلاقا من تكريم الله للإنسان " ولقد كرمنا بنى ادم " (الاسراء – ٧٠) .

ولعل هذا هو سر قبول غير المسلمين لحضارة الإسلام وثقافته ؛ مع بقائهم على معتقداتهم ، وقد خصصت فى كتابي (محمد صلى الله عليه وسلم – فى الشعر العربى الحديث ، دار الوفاء ،المنصورة ١٩٨٧) فصلا كاملا لكيفية تناول الشعراء النصارى للشخصية المحمدية ، وذكرت فيه أن بعضهم تفوق على بعض الشعراء المسلمين فنا وموضوعا ،وأزعم أن الثقافة الإسلامية فرضت نفسها على الإنتاج الأدبى لبعض الأدباء العرب العلمانيين والماركسيين ؛ ولم يستطيعوا الانفكاك عنها .

إن الأب " جاك جوميه " ذهب إلى أن أدب نجيب محفوظ أدب إسلامى ؛ لأنه يعبر عن قيم إسلامية وقد يكون هذا صحيحا إلى حد ما ، مع أن نجيب يرفض بصورة دبلوماسية أن يوضع فى الخانة الإسلامية أو خانة الأدب الإسلامي .

ولاريب أن أبا تمام والمتنبى وسعدى الشيرازى وجلال الدين الرومى وغيرهم ؛ هم شعراء إسلاميون حتى لو بدا أن بعضهم لا يلهج بذكر الإسلام . يكفيه التصور الذى يعبر عن مفاهيم الإسلام وقيمه ورؤاه ، وما قصيدة فتح عمورية الشهيرة " السيف أصدق أنباء من الكتب" – على سبيل المثال - إلا درة من درر الأدب الإسلامي.

إن الأدب الإسلامى أدب نصوص قبل أن يكون أدب شخوص ، فالنص الأدبى النابع من تصور إسلامى أو المعبر عن رؤية إسلامية هو أدب إسلامي ؛ لذا فقصيدة " البردة " للبوصيرى من الأدب الإسلامى ، ولا يعنينا إن كان البوصيرى قبل كتابتها على استقامة أو انحراف ، أيضا ماكتبه أبو نواس فى أواخر حياته توبة وندما هو من الأدب الإسلامي ، وإن كان ماكتبه قبل ذلك يدخل فى دائرة التهتك والعربدة .. النص قبل الشخص ، والعدل يقتضى أن نميز بين نص ونص ، ولا نعمم الأحكام لأن التعميم هو آفة حياتنا الثقافية والفكرية .

لقد عدّ بعض الباحثين الدعوة إلى الأدب الإسلامي حركة تجديد أدبية ؛ لأنها فى حقيقة الأمر دعوة إلى البحث عن هوية ، ونزوع إلى الاستقلال

عن حركة الاستعمار الشرس التى لاترضى بغير تبعية الآخر وذيليته ، أو قل عبوديته . والأدب الإسلامي دعوة إلى الحرية بأسمى معانيها ، وهى حركة انطلاق نحو المثل العليا والقيم الرفيعة من خلال نصوص تملك مواصفات الفن الجيد والإبداع الراقي .

ولا يظنن أحد أن الدعوة إلى الأدب الإسلامى عبارة يتخفى تحتها أصحاب المواهب الضحلة والمهارات المحدودة .. كلا ..إنها دعوة إلى تجاوز التبعية الثقافية والرداءة الفنية فى آن واحد ، وكنت أتمنى من جريدة "القاهرة " أن تعجل بنشر موضوع أرسلته قبل فترة طويلة حول حوار الأديب والفقيه ؛ ألخص فيه بعض ماجرى فى الملتقى الثالث للأدب الإسلامي بأغادير في المغرب ؛ ليرى الكاتب صورة للنقاش حول أهمية البناء الفنى فى أن الأدب الإسلامى ، وحتى لا يلتبس الأمر على بعضهم ويعتقد أن الأدب الإسلامى هو مجرد مواعظ جافة وساذجة . إن الوعظ نفسه فن صعب لا ينهض به إلا موهوب مثقف مدرب . تامل مثلا مواعظ الإمام الحسن البصرى وطاقتها التعبيرية والتصويرية ، وتأثيرها القوي في نفس من يقرأها أو يستمع إليها .

ما كنت أظن أن دراستى حول رواية " بحيرة السلطان " للأديب الإيرانى المسلم (محسن مخملباف) ؛ستثير هذا اللبس حول الأدب الإسلامي ، ولكنها فرصة للتعريف بهذا الأدب فى هذه السطور القليلة ، لعلها تقابل بمحاولة متسامحة من جانب أصدقائنا الذين تستفزهم كلمة "الإسلام " وتثيرهم ، وإذا كانت شهرة صاحب الرواية الإيرانية الإسلامية ترتبط بالسينما ؛ فان الاطلاع على إنتاجه الأدبى لا يعد نقيصة أو مجالا للوم ، فإننا نغدق بل نسرف فى التعرف على أدباء أمريكا اللاتينية ، ونسهب فى الحديث عن آدابهم وواقعيتهم السحرية وغير السحرية .. أليس من الأولى أن نتعرف على مايكتبه أخوتنا وأشقاؤنا فى العالم الإسلامى خاصة فى إيران وتركيا وباكستان وبنجلاديش وماليزيا وإندونيسيا ؟

إن الأدب الإسلامي دعوة أصيلة ترتبط بالتصور والهوية ولاعلاقة لها بالتدين الشكلى ؛الذى سماه الشيخ الغزالى - رحمة الله - تسمية أعمق يوم أطلق عليه اسم " التدين المغشوش " ؛ ليشمل الجهل والنفاق والارتزاق .. ولله فى خلقه شئون!

أدب الوصايا والمواعظ

هذا لون من الأدب الإسلامي أهملته الدراسات الأدبية والنقدية ؛ مع غناه الكبير بالقيم الإنسانية والإيمانية والفنية ، ولا يستطيع أن يبرع فيه أديب أو خطيب ما لم يكن موهوبا فنيا ، ويملك مفاتيح القول فيه عن تجربة وخبرة ودراية .

وقد شاع في مفهوم بعض الكتاب والنقاد أن هذا اللون من الأدب لا قيمة فنية له ؛ بل عده بعضهم خارج إطار الفن الأدبي بصفة عامة . ولعل هذا ناتج عن عدم معرفة وثيقة به أو عدم اطلاع على نماذجه الرفيعة التي يزخر بها أدبنا العربي قديما وحديثا ، بل تزخر به آداب الشعوب الأخرى منذ المصريين القدماء واليونان والرومان والفرس والهنود .

وقد عكف الدكتور "عدنان على رضا النحوي " على دراسة هذا اللون الأدبي الرفيع فأخرج لنا دراسة طويلة تتجاوز الثلاثمائة صفحة من القطع المتوسط (صدرت طبعتها الأولى في الرياض ١٤١٨ ه – ١٩٩٨ م) تتناول منزلة أدب الوصايا والمواعظ ونهجه وخصائصه الإيمانية والفنية ، ويهديها إلى الأدباء المسلمين الذين يصدقون الله في عطائهم وبذلهم ، وإلى الشباب المؤمن الذي يشق دربه إلى الجنة ؛ ليرى الجميع منزلة أدب الوصايا والمواعظ ، وليروا شدة حاجتنا اليوم إلى هذا الأدب والفكر ، كما يهديها إلى الدعاة والعلماء المسلمين كي يقدموا النصيحة والموعظة على النهج الذي رسمه الإسلام ، ويكشف هذا الإهداء عن الغاية المزدوجة التي يبتغيها الباحث ، وهى غاية فكرية وفنية في آن واحد ، وقد اجتهد عبر سبعة أبواب تسبقها مقدمة ليحقق هذه الغاية .

في مفهوم الأدب الملتزم بالإسلام يقدم لنا الباحث تعريفا له ، مع بيان خصائصه وأهدافه ، ويؤكد على أن الكون كله ميدان الأدب الإسلامي والحياة الإنسانية بساحتها المختلفة ، والدنيا والآخرة من خلال تصور متكامل متناسق . كما يوضح أن الأدب الإسلامي أدب إنساني ينبع من حقيقة الإنسان ، ويعالج قضاياه وهو أيضا أدب عالمي يستمد عالميته من إنسانيته وامتداده ، ويشير الباحث إلى ما كتب حول أدب الوصايا والمواعظ في العصر الراهن كان قليلا ، وأن المؤتمر الذي أقامته رابطة الأدب الاسلامى في الهند (١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م) أعطى دفعة قوية لهذا الموضوع حيث دارت أبحاث المؤتمر حول الخصائص الأدبية للوصايا والمواعظ وتطورها وأهميتها في مختلف العصور الإسلامية ، وعدّد أبرز أعلام هذا الأدب من أمثال الحسن البصري والفضيل بن عياض ومعروف الكرخى والغزالي وعبد القادر الجيلانى وابن الجوزى وابن قيم الجوزية

ودور هذا الأدب في إصلاح المجتمع ودوره في ميدان التربية والتعليم ومعالجة النفوس وإصلاحها .

وتناقش الدراسة الآراء التي ترى أن الموعظة ونهجها ونهج مشتقاتها ليست ميدانا للأدب عامة أو للأدب الاسلامى خاصة ، ولا تجد فيها سبيلا للفن وجماله ، وتشير إليها إشارات تبعدها عن ميدان الأدب أو تحط من قيمتها .

وتطرح الدراسة العديد من الحجج التي تؤكد على أدبية الموعظة وفنيتها وتقدم الشواهد المؤكدة على ما تذهب إليه ومنها قوله تعالى " أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا " (النساء : ٦٣).

والقول البليغ هو الذي يبلغ أعماق النفوس ولا يتحقق ذلك إلا بالثراء الفكري والأدبي والفني وعلو البيان وسمو التعبير ، كما تشير الدراسة إلى أسباب هبوط مستوى الموعظة وركاكتها في بعض العصور والمراحل التاريخية ؛ مما أثر على نظرة البعض إلى أدبها وقيمته الفنية .

وميزة هذه الدراسة أنها جمعت في عدة أبواب نماذج رفيعة وعالية من الوصايا والمواعظ ؛ استخرجها الباحث من كتب التاريخ والأدب . فهناك نماذج من الهند والفرس واليونان والشرائع السماوية السابقة والعصر الجاهلي والقران الكريم وأحاديث الرسول - صلى الله علية وسلم - والخلفاء الراشدين والصحابة والتابعين والعهد الأموي والعصر العباسي ، كما تخصص الدراسة مساحة كبيرة لأدب الوصايا والمواعظ في الشعر على امتداد عصوره ، وتحتفي بصورة خاصة بما قاله الشعراء الزهاد في العصر العباسي .

التناول الفني لهذه النماذج جاء موجزا وسريعا وكان الأولى بالدراسة أن تركز على هذا الجانب لتضيء النصوص الوعظية بطريقة موسعة تتجاوز الإشارات السريعة ، وإني لأتصور أن النماذج التي وردت في سياق الدراسة تتيح مجالا خصبا للباحث كي يتناولها باتساع وشمول يغطيان عناصر كثيرة وعديدة .

وتخلص الدراسة في نهاية المطاف إلى أن الوصايا والمواعظ قد حافظت على مستوى أدبي رفيع في مختلف العصور ، وقد تميز كل عصر بخصائص فنية متميزة وجديدة ، ولكنها كلها حافظت على أصالة اللغة العربية وصانت حرمتها ، ولكن يظل القران الكريم هو الموعظة الأعلى والأغنى في حياة البشرية . الموعظة المعجزة في يسرها حتى يفهمها الناس ، والمعجزة في أنه لا يستطيع أحد بلوغها وتأتى الأحاديث الشريفة بعد ذلك ، ثم ما قدمه الخلفاء الراشدون ليظل هذا في قمة أعلى مما جاء بعد ذلك ،

وفى العهد الأموي أخذت الكتابة صورة من التخصص والتفرغ ، واتخذ الخلفاء كتابا لهم ، كما اتخذوا معلمين ومؤدبين لأولادهم فقد دخل في الإسلام شعوب كثيرة لا تعرف العربية أو لا تتقنها ، وبعد الخلفاء والأدباء والشعراء عن البادية حتى اضطر بعضهم إلى أن يرسل أبناءه إلى البادية لتستقيم ألسنتهم .

ولكن الضعف والوهن أخذ يزداد مع عصور لاحقة دون أن يشعر المسئولون بخطورة هذا الأمر وضرورة علاجه أو دون أن يشعروا أن اللغة العربية جزء من منهاج الله ، وأن تعلمها وإتقانها واجب كل مسلم مما أثر بدوره على أسلوب الموعظة معنى ومبنى .

الآخر والأدب الإسلامي

نُشِر مقالٌ يلخص ثلاث روايات بعنوان : الأقباط يكتبون رواياتهم . الرواية الأولى للأنبا يوحنا قلته وعنوانها : غرب النيل ، والثانية من تأليف نعيم صبري وتحمل عنوان : شبرا ، والأخيرة بقلم غبريال زكى غبريال وعنوانها : وصايا اللوح المكسور . وتتناول هذه الروايات كما بدا من العرض خلافات المذاهب المسيحية ، والتحول من المسيحية إلى الإسلام ، وما يسمى بالتطرف ، وأحداث العنف التي جرت في فترة الثمانينيات والتسعينيات من القرن العشرين .

ولا خلاف في حق الكتّاب تناول الموضوعات المتنوعة ؛ كل حسب رؤيته وتصوره ، حتى لو بدت الرؤية أو التصور مصادما للأغلبية ، مادام التناول مؤسّسا على مقدمات منطقية مقبولة .

ولا حرج على شركاء الوطن أن يعبروا عن هواجسهم وأحلامهم ، وأن يمثلوا تيارا أو مذهبا يقوم على العقيدة أو الفلسفة التي يؤمنون بها ، فالكتابة بصفة عامة لابد أن تنطلق من تصور ما تصنعه عقيدة ما أو فلسفة ما أو موقف ما ؛ حتى الإلحاد يعد موقفا وفلسفة وعقيدة بالنسبة للكاتب الملحد .

لم يكن الكتّاب الثلاثة الذين عرض المقال رواياتهم الثلاث أول من كتب الرواية أو غيرها من الأجناس الأدبية من منظور نصراني ، فقد سبقهم آخرون على اختلاف المذاهب التي ينتمون إليها ، ولعل أشهر من كتب من خلال هذا المنظور في أيامنا كاتبان : إدوار الخراط الذي أنتج مجموعة من الروايات والقصص التي تدور في إطار تعميق الفكرة النصرانية متأثرا بالتصور الأوربي ، ورءوف مسعد الذي كتب رواية رديئة ركيكة بعنوان بيض النعام أفرغ فيها رؤيته للواقع المصري متأثرا بالفلسفة الماركسية ، وإن كانت روايته تفيض غلوا وشططا .

مقال الأقباط يكتبون رواياتهم يفرز عدة ملاحظات يمكن إيجازها فيما يلي :

١- مصطلح الأقباط ودلالته على فريق من المصريين دون غيرهم .
٢- تقسيمات الأدب والموقف منها والأساس الذي يميز الكتابات الأدبية .
٣- خطورة مصطلح الأدب القبطي والمناخ الذي يربط الدين بالحياة .
٤- تعبير الأدب الإسلامي ومفهومه وتطوره .

ولا ريب أن إطلاق مصطلح الأقباط على إخواننا النصارى يجافى الدقة ويعبر عن رغبة ما في إقصاء الآخر الشريك الذي يمثل الأغلبية في الوطن ، وقد أصبح معروفا الآن بما لا يدع مجالا للشك أن القبط هم المصريون سواء كانوا وثنيين أو نصارى أو مسلمين ، وبعد الفتح الإسلامي فإن إطلاق لفظ القبط على المصريين جميعا كان أمرا طبيعيا بحكم أنه يميز

السكان الأصليين ، عن السكان الفاتحين ثم تغير الزمان وتحول أغلب القبط من الوثنيين والنصارى إلى الإسلام ؛ فصاروا قبطا مسلمين . ولكن البعض في زماننا يسعى من خلال استخدام المصطلح إلى التعبير عن رؤية شعوبية تجعل كل مسلم عربيا طارئا ، وتجعل كل قبطي وطنيا مقيما مما يعضد بعض المقولات التي يطرحها متعصبون فحواها أن الإسلام استعمار دخل مصر بالقوة ، ويجب طرده بالقوة ؛ فضلا عن عدم تمكينه من التعبير عن نفسه من خلال ما عرف بتطبيق الشريعة الإسلامية . وقد ظهرت كتابات في الداخل والخارج تتحدث عن ذلك بوضوح وصراحة ، وعبر بعضهم عن ذلك من خلال الرواية كما فعل رءوف مسعد في بيض النعام ؛ وقد انتهى به المطاف أن يكون في صف الكيان الاستعماري اليهودي الغاصب في فلسطين المحتلة ، ويسجل برنامجا عن هذا الكيان للتلفزيون الهولندي ويدعو إلى التصالح مع الغزاة في فلسطين والاستسلام لهم تماما .

ولا ريب أن استخدام المصطلح بهذه الطريقة يمثل دعوة خطيرة لا تخدم مصر ولا النصارى ولا المسلمين . إنها دعوة إلى تمزيق الوطن وتأجيج الصراع بين الأغلبية المسلمة والأقلية النصرانية ، واني إذ استخدم تعبير النصارى والنصرانية فإنما أسعى إلى الدقة الدلالية ؛فضلا عن الالتزام بالمصطلح القرآني ، حيث ورد مصطلح النصارى في أربعة عشر موضعا وآية ، ولفظة "نصرانيا " في موضع واحد للدلالة على أتباع المسيح عليه السلام ، ولم يرد أبدا في القران الكريم مصطلح الأقباط أو القبطي فضلا عن المسيحية أو المسيحي .

إننا جميعا مسلمين ونصارى أقباط بمعنى مصريين ، ولا أظن أن طرفا يمكنه أن ينفى الطرف الآخر بحجة أنه صاحب الوطن الأصلي ، وأن الآخر غاز دخيل يجب أن يرحل . إنها بلا ريب أحلام شيطانية غريبة على الأقباط جميعا ، ولا تخدم المستقبل الذي يجب أن يتجاوز هذه الأحلام ويعمل على وأدها ليحل مكانها تفكير وطني أصيل يعلم جيدا أن الإسلام إذا كان دين الأغلبية وعقيدتها ؛ فهو حضارة الأقلية وثقافتها وهو وعاء يسع بإنسانيته ورحمته جميع البشر طالما سعوا إلى الخير والسلام .

إن هاجر القبطية المصرية زوج إبراهيم - عليه السلام - هي أم إسماعيل - عليه السلام - وهو أبو العرب المستعربة ، أي إن العرب مصريون بالأمومة ، وما التمازج والهجرات من مصر واليها إلا تعبير دال على وحدة شعوب المنطقة ووحدة الجذر التي تنتمي إليه ؛ مهما تعددت التسميات والانتماءات . ثم إن مارية القبطية المصرية هي زوج محمد نبي الإسلام - صلى الله عليه وسلم - وأم ولده إبراهيم ، وإذا تأملت في الوجوه وخاصة في

صعيد مصر وجدت أن معظم المسلمين سمر الوجوه مما يعنى أن القوم ليسوا طارئين ولا غرباء ، وأنهم أقباط أي مصريون مثل أشقائهم النصارى في الوطن . ولسنا في حاجة إلى تتبع اسم مصر كما ورد في المصرية القديمة أو اللغات المشتقة عن اللاتينية فقد كثر الحديث في ذلك وهو ينتهي عادة بإثبات أن القبط أو الأقباط تعنى مصر أو المصريين .

مما سبق فان التسمية الدقيقة للأدب الذي يكتبه أشقاء الوطن هو الأدب النصراني ، وليس الأدب القبطي لأن التسمية الأخيرة تشمل الأدب الاسلامى أيضا ، وهذا يقودنا إلى مناقشة التحفظ على تقسيم الأدب وفقا للدين أو البيئة أو الجنس وفى هذا السياق أود أن أسجل نقطتين مهمتين :

الأولى : هي إن أي أدب لابد أن يصدر عن تصور ، وهذا التصور يصدر عن رؤية أو عقيدة أو فلسفة ، فما يكتبه الأديب الوجودي مثلا يختلف عما يكتبه الأديب الماركسي ؛ فكل منهما له فلسفة أو عقيدة أو رؤية تختلف عما لدى الآخر يؤسس عليها تصوره وصياغته في آن واحد بل إن من لا يؤمن بدين أو عقيدة ويصير ملحدا يتحول الإلحاد لديه إلى رؤية وعقيدة وفلسفة .

الثانية : لا يمكن لأدب – أي أدب – أن يكون مجرد تعبير خيالي بعيدا عن الواقع ودون موقف للأديب منه أيا كان هذا الموقف ، ومن ثم فلا حرج على من يقسمون الأدب وفقا للمعتقد أو الرؤية أو التصور ، وأيضا لا بأس على من يضعون مسميات أدبية تعتمد البيئة أو التاريخ وهو ما يعنى أن مصطلح الأدب الإسلامي مباح ومشروع إن لم يكن واجبا وملزما للمنتمين إلى الحضارة الإسلامية بصفة عامة وللعقيدة الإسلامية بصفة خاصة .

ولا ريب أن جماليات الكتابة ومراعاة خصائص الجنس الادبى مسألة أساسية لا يختلف عليها أحد لأن ما يميز الأدب أي أدب عن الكلام العادي هو الجمال الفني الذي يحقق التمايز والخصوصية بين أديب وأديب وبين كاتب وآخر ، والتقسيم أو الوصف الذي يطلق على أدب ما لا يمكن أن يكون عباءة يدخل تحتها ضعاف الأدباء وأشباههم ويحتمون بها بسبب قصورهم الفني أو قصور مواهبهم وثقافاتهم .

ثم إن اعتماد الجماليات الفنية وحدها دون التصور والمفهوم يسيء أيضا الأدب ويفرغه من مضمونه ويحوله إلى مجرد زخرفة لفظية ولعب بالكلمات قد تحط من مشاعر الإنسان وتسيء إليها وتدخله في آفاق من البشاعة والقبح هو في غنى عنها . لقد تخفى كثير من أصحاب المواهب الضحلة تحت رداء الواقعية والسريالية فقدموا كتابات تطفح بالدمامة وتضج بالعبث ، ولحسن الحظ فقد ذهبت هذه الكتابات مع ذهاب أصحابها .

والأمر نفسه ينطبق على من يكتبون الأدب الاسلامى دون موهبة أو وعى بأساليب الكتابة ولن تشفع لهم النوايا الحسنة أمام القراء والمتلقين .

إن ربط الدين بالحياة في الإسلام قضية عقدية ومن ثم فهي أساسية حيث يفترض أن يكون سلوك المسلم ترجمة لعقيدته وإيمانه وإلا فإن إسلامه يكون إسلاما اسميا ولفظيا " قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم ، وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا .."(الحجرات :١٤) .

الإسلام هو مظهر الإيمان وهو ترجمة لهذا الإيمان إذا تطابق السلوك مع الفكر ، والعمل مع القول ، والممارسة مع التصور ، بدون ذلك يدخل المسلم دائرة أخرى يسميها القرآن الكريم النفاق ، والمنافقون في الدرك الأسفل من النار .

المحور الأساسي في الإسلام هو ربط الحياة بالعقيدة ، والخلق بالخالق ؛ في النوم والصحو ، في الكلام والصمت ، في الحركة والسكون .. لذا لا يوجد كهنوت في الإسلام ولا رجال دين ولا يملك أحد حق التأثيم أو التطهير. المسلم يعلم أنه مراقب من الله في كل ما يصدر عنه من قول أو فعل ؛ ومن هنا فان ربط الدين بالحياة لدى المسلمين مسألة أساسية تخص صلب العقيدة وجوهرها . الفصل غير وارد مثلما لا نستطيع في الأدب أن نفصل بين الشكل والمضمون . هناك تلازم يجعل المسلم يتصل بخالقه في كل الأحوال والأعمال ، والمسلم الحقيقي في سلوكه اليومي والعملي ، وإبداعه الخاص والعام ؛ يعلن أنه محكوم بقيم الإسلام التي تتطلب الإتقان والإخلاص والجدية والفهم الدقيق والوعي الناضج والتفوق ، كما يعلم أنه محاسب أمام خالقه سبحانه على التقصير ، مثاب على الإحسان ، سواء عرف الناس تقصيره وإحسانه أو لم يعرفوا .

إن الإسلام دين عام شامل وليس دين عبادة وصلوات فقط ، وفى تراثنا الإسلامي نجد أن ما يخص العبادات محدود بالقياس إلى ما يخص المعاملات والعلاقات ؛ مما يعطى دليلا على عمق ارتباط الإسلام بالواقع والحياة وحركة المجتمع .

وأستدرك لأقول إن علماء الدين لا يملكون سلطة روحية أو زمنية ، ومثلهم في الواقع مثل غيرهم من الخبراء والمتخصصين في مجالات الحياة المختلفة لهم احترامهم وتقديرهم ؛ دون تقديسهم أو تحصينهم . ثم إن الخبرة والتخصص في الإسلام لهما مكانه كبرى وليس كما يتوهم البعض اعتقادا منه أن الإسلام قاصر على علوم التوحيد والفقه والحديث والتفسير ولكنه يضم كل العلوم ويحث على تعلم كل العلوم التي تقوم بها الحياة وتتوهج.

خطورة مصطلح الأدب القبطي لا تكمن في النزعة الطائفية بقدر ما تكمن في النزعة الشعوبية فقد ظهرت في أوائل القرن العشرين دعوات إلى ما يسمى الأدب المصري أو الأدب القومي بمعنى الفرعوني وقد تبددت هذه الدعوات أمام نهوض اللغة العربية وآدابها على يد الأعلام من الرواد .

إن أدبنا في مصر جزء من أدب أمة كبرى ينطلق جانب كبير منه باللغة العربية الفصحى ، والدعوة إلى التقوقع أو الانعزال في دائرة الأدب الشعوبي لا تخدم الشعب ولا الأمة ولا المستقبل .

إن أدبنا العربي منذ مطلع البعثة المحمدية هو أدب إسلامي ؛ فقد غير الإسلام تصور الجاهليين وأبقي على أساليبهم ، ولا ريب أن تصور المسلم غير تصور الجاهلي وأشباهه ، فتصور المسلم يقوم على التوحيد والأخلاق على العكس من الجاهلي الذي يؤمن بالأصنام ويعبدها من دون الله ويستحل وأد البنات ويشرب الخمر ويقترف المحرمات . رفض الإسلام هجاء الجاهلية وأنحى باللائمة على الشعراء الذين يتبعهم الغاوون وحبس عمر الحطيئة حين هجا الزبرقان بن بدر ، واشترى منه أعراض المسلمين - وصار المعيار الخلقي من معايير الأدب وانفتحت مجالات جديدة للتعبير عن الشهادة في سبيل الله والحماسة من أجل الفتوح والزهد في الماديات والإشادة بالقيم الطيبة والمثل الرفيعة ... الخ

وظل الأدب إسلاميا في جوهره ومضمونه وسيظل إلى يوم الدين دون أن تؤثر فيه النزعات المعادية للتصور الاسلامى ، وهى نزعات تعد استثنائية مهما بلغ من انتشارها أو الترويج لها مثل خمريات أبى نواس والغزل الفاحش والمجون والإلحاد - فمعظم تراثنا يفيض بأدب يبرز فيه التصور الإسلامي واضحا وجليا ، وانظر إلى شعر أبى تمام والبحتري والمتنبي وأبى العلاء والشريف الرضي وغيرهم تجد فيه روحا إسلامية ساطعة حتى لو بدا في شعر بعضهم ما يخالفها فهو استثناء يثبت القاعدة .

وتمثل الدعوة إلى الأدب الإسلامي حركة تجديد للأدب العربي خاصة والأدب في بلاد المسلمين عامة ؛ بسبب ما يواجه المسلمون في العصر الحديث من محاولات التغريب أو ترسيخ التبعية للغرب وانبهار النخبة بالمدنية الأوربية الحديثة دون وعى بما يصلح لنا أو ما يصلح ، وقد ترافقت الدعوة إلى الأدب الإسلامي ضمنيا مع نهضة الشعر على يد البارودي الذي حدد مفهومة للشعر تحديدا يتفق مع التصور الاسلامى ، ونهضة النثر على يد محمد عبده الذي رأى أن الرقى باللغة العربية مدخل إلى النهوض بالأدب ، وأنذر الصحف التي تهبط لغتها أو أسلوبها بالإغلاق ، وحقق ونشر ما يساعد على نهضة القيم الإسلامية ، وكان من وراء مصطفى

صادق الرافعي في كتاباته التي بلورت عمليا فكرة الأدب الاسلامى ؛ وهى فكرة ألح عليها جيل الرواد في أشعارهم ونثرهم بصورة وأخرى ، وكان للجمعيات الإسلامية وخاصة الشبان المسلمين دور كبير في الدعوة إلى إسلامية الأدب ، وكتبوا في مجلتهم العديد من المقالات والدراسات التي تتحدث عن هذه الفكرة وكان من بين رجالها الشيخ أحمد الشرباصى الذي دعا في منتصف القرن العشرين إلى المسرح الاسلامى ، ثم كان الشقيقان محمد وسيد قطب من أبرز من نظروا لمفهوم الأدب الإسلامي بمقالاتهم أو كتبهم ، وخاصة في كتاب منهج الفن الإسلامي للأول ، وكتاب النقد الأدبي للآخر ، ثم كان لنفر من الأدباء والشعراء دور في الستينيات والسبعينيات أبرزهم نجيب الكيلانى - رحمة الله - في ترجمة مفهوم الأدب الإسلامي من خلال أعماله القصصية والروائية والمسرحية والشعرية ، وظهر أكثر من كتاب ينظر لمفهوم الأدب الاسلامى ويدعو إليه بوصفة صورة من صور المقاومة للهيمنة الغربية في الفكر والسلوك ، فضلا عن كونه حالة أو حركة تجديد للأدب العربي ورؤية لمستقبل الأمة .

ويعد من الفهم القاصر أن الأدب الإسلامي هو تناول للتاريخ الإسلامي ، فالتاريخ الاسلامى مجال من مجالات الأدب الإسلامي ، وقد كتب نجيب الكيلانى مثلا أكثر من أربعين رواية تمثل الروايات التاريخية جزءا محدودا منها ، وقد اتجه في الفترة الأخيرة من حياته إلى ما سميته بالواقعية الإسلامية ؛ وكتب من خلالها مجموعة من أفضل الروايات التي تتناول المجتمع المصري وتحولاته على أساس الرؤية الإسلامية الرحبة .

وقد تنادى المهتمون بفكرة الأدب الاسلامى إلى إنشاء رابطة عامة وقد تبنى الفكرة العلامة الراحل أبو الحسن الندوى من أشهر علماء الهند المعاصرين - رحمة الله - وتأسست الرابطة في لكنهؤ بالهند عام ١٩٨٤ ولها مكاتب أو فروع في أنحاء العالم الاسلامى : مكتب بنجلاديش في مدينة شيتا جونج ، مكتب البلاد العربية الرئيسي في الرياض ، وهناك مكاتب فرعية في البلاد العربية - القاهرة ، الأردن ، المغرب ، مكتب تركيا في استانبول ، وهناك مكاتب أخرى في شرق آسيا في سبيلها إلى الظهور إن شاء الله

وهناك ثلاث مجلات للأدب الاسلامى الأولى بالهند والثانية في العالم العربي بالرياض ، والثالثة في تركيا ، وكل منها تنطق بلغة المنطقة التي تصدر فيها .

إن الأدب الاسلامى هو أدب الفطرة الإنسانية الصافية لذا فهو ليس إقليميا ولا طائفيا ولا عنصريا . إنه يؤكد على قيمة الإنسان من حيث هو إنسان كرمه ربه بغض النظر عن جنسه أو عرقه أو دينه أو مذهبه ، وهو أدب

العاطفة الصادقة التي ترافق الإنسان المسلم وغير المسلم في سعيه الدءوب طلبا للحرية والتطور والاستمتاع بنعم الخالق - جل وعلا - كما أراد ، إنه أدب التوحيد والارتباط بالمعبود صاحب الحول والطول وحده دون سواه .

إن الدعوة إلى إسلامية الأدب دعوة نبيلة وحق مشروع في وطن يمثل فيه الإسلام حضارة وثقافة لجميع سكانه على اختلاف عقائدهم ومذاهبهم ، وللأسف فإن بعضهم يقابل هذه الدعوة بالامتعاض أو التأفف ولا يقبل بمناقشتها مناقشة منطقية موضوعية ؛ في الوقت الذي تقابل فيه الدعوات الشعوبية أو الطائفية بالترحيب وسعة الصدر والتسامح الممدود .

عندما تأهبت لكتابة هذه السطور كنت قد انتهيت من قراءة بحث يتحدث عما يسمى بالأدب الأوغاريتى نسبة إلى مدينة قديمة تقع شمال اللاذقية في سوريا ، ودعاة هذا الأدب تحركوا في عام ١٩٩٨ انطلاقا من مفهوم يرى أن أساطير الحضارات القديمة في المشرق العربي وعاء لحضارة سبقت الحضارة الإغريقية وأثرت فيها وفيمن جاءوا بعدها من الأوربيين ، وترى هذه الدعوة أن الأوغاريتية تعبير عن عروبة المنطقة وهويتها الأصيلة دون ذكر لكلمة الإسلام أو حضارته ولو مرة واحدة ، ومع أنى أرفض مثل هذه الدعوة وليس هنا مجال إبداء الأسباب ؛ أجد أن من واجبي قراءتها والتعرف على أبعادها والبحث عن ايجابياتها وسلبياتها.

إن الأدب الاسلامى عمره أربعة عشر قرنا من الزمان وتأثيراته قائمة في أدب أهل المنطقة ؛ حتى لو خالفوه ، لأنه أدب حضارة مهيمنة ليس بسبب امتلاك القوة المادية ولكن لامتلاكه الروح الإنسانية بكل خصوبتها وعطائها الذي لا ينضب ، حتى وهى تئن تحت سنابك الطغاة والمستعمرين .

ومن الجدير بالذكر أن أشير إلى أنني في دراستي حول شخصية محمد صلى الله عليه وسلم في الشعر العربي المعاصر خصصت فصلا لرؤية الشعراء النصارى العرب لهذه الشخصية ؛ فوجدتهم قد برعوا في الحديث عن الشخصية المحمدية وتفوق بعضهم فنيا وموضوعيا على كثير من الشعراء المسلمين مما يؤكد أن تأثير الإسلام حضارة وثقافة يهيمن على جميع سكان المنطقة .

ضد الأدب الإسلامي

وليمة لأعشاب البحر : دعوة للإرهاب والإباحية!

إن حرية الإبداع في أي مجتمع ترتبط ارتباطا وثيقا بقيم هذا المجتمع وتقاليده ولا تتعداها ؛ لأن الخروج عليها يصادمه ويجرح إحساسه ويسقطه من الاعتبار والمكانة ، وهناك شبه إجماع عالمي على احترام الأديان والمعتقدات وعدم المساس بها ؛ لأنها تمثل ثوابت وعلى الآخرين الابتعاد عنها لأن الاقتراب منها يعد عدوانا عليها وتجريحا لأتباعها . فالبقرة في الهند لها احترامها وكذا تماثيل بوذا في شرق آسيا لها تقديرها فضلا عن الأديان السماوية في شتى أنحاء العالم ؛ لا يجوز تناولها بسوء أو النيل منها بعدم احترام أو عدم تقدير .

والأمر كذلك بالنسبة للآداب العامة وهناك شبه اتفاق فطرى على أن العرى وممارسة الجنس أمام الناس يمثل انتهاكا للآداب العامة ومصادمة للفطرة ويعد من السلوك الفج ، وفى أكثر الدول خروجا على الفطرة والآداب العامة مناطق لا يجوز تجاوزها . ويضعون محاذير وعلامات يتوقف عندها العرى أو الممارسة غير الفطرية وغير اللائقة ، وفى السينما والتلفزة يضعون علامات تشير إلى أن الموضوع لا يناسب الصغار أو غير البالغين ، ثم إنهم يختارون الأوقات التي تكون فيها إذاعة الأعمال السينمائية أو التلفزيونية غير مؤثرة على الأطفال والشباب ، وما ذلك إلا لاستشعارهم أن هناك حدودا لأي عمل فني أو إبداعي يجب عدم تجاوزها سواء في طريقة إبداعها أو طريقة إذاعتها أو نشرها أو وقت هذا النشر وذلك الإبداع .

ولكن بعض الناس في بلادنا العربية يتصورون أن كل شيء مباح في سبيل الإبداع دون مراعاة لآداب عامة أو فطرة إنسانية أو شرائع سماوية ، ثم إنهم يغرقون بعد ذلك في اللجاجة والحديث عن منطق الفن الذي يختلف عن منطق الواقع ، ويعدون ذلك تقدما وتنويرا وحرية إلى غير هذا من شعارات حق يراد بها باطل .

وينسون أن الإنسان مخلوق جميل يحب الجمال ، وأن العرى والفجاجة والشذوذ والحيوانية تتناقض مع الجمال بكل مقاييسه وأنواعه .

وإذا أخذنا عملا مكتوبا مثل رواية " وليمة لأعشاب البحر" للكاتب السوري " حيدر حيدر " وجدنا أنها تتناقض مع الجمال الأدبي ولا تقدم متعة حقيقية فضلا عن تصادمها مع العقيدة والأخلاق والقيم الإسلامية وغير الإسلامية .

إن الرواية تتحدث عن اثنين من الماركسيين العراقيين يسافران إلى الجزائر هربا من النظام البعثى الحاكم بعد إخفاق الثورة المسلحة التي قام بها الحزب الشيوعي العراقي في الأهوار ، وفى الجزائر يعملان بالتدريس ويتذكران المواجهة المسلحة التي خاضها الشيوعيون العراقيون ضد السلطة البعثية وهزيمتهم الساحقة على يد الجيش ، وتصور الرواية قسوة النظام البعثى واستبداده وبطشه ، وفى الوقت ذاته تشيد بالشيوعيين وبطولاتهم في مواجهة هذا النظام . كما تمجد الخروج عليه وقتل جنوده واختطافهم واحتلال مراكز الشرطة واستخدام الإرهاب المسلح وسيلة فعالة للاستيلاء على الحكم وتصفية الخصوم تصفية دموية .

وفى بيان أسباب الهزيمة الشيوعية تذهب الرواية وأبطالها إلى أن الإسلام بوصفه الجلد البالي ؛ هو سبب هزائم الأمة وهو صانع الاستبداد والتخلف ، وأن تاريخه مليء بالدماء والحروب والعنف والسيف ، وأن أنضج ما فيه هو ثورة الزنج والقرامطة ، وأحسن رجاله هم الحلاج والسهرودى وحمدان قرمط ، وكلهم من الملاحدة والمارقين .

وفى الجزائر يمارس الصديقان الهاربان حياة التدريس ، ويسعيان لنشر الشيوعية في مدارسها ، ويعيشان حياة بوهيمية مع امرأة عاهرة كانت تشارك المجاهدين في حرب الاستقلال ، وتفتح بنسيونا تضاجع فيه كل العرب الغرباء ، ويلتقي احد الرجلين الماركسيين بفتاه جزائرية كان أبوها من شهداء الاستقلال ،ويمارس معها الجنس ويغضب على المجتمع الذي يرفض علاقتهما غير الشرعية أو الإباحية .

وفى الرواية على امتداد صفحاتها السبعمائة هجاء رخيص للإسلام وللمسلمين ، وتصوير بشع لمن يتحدثون عن الإسلام ؛ حيث تجعلهم الرواية مشوهين وفصاميين يقولون مالا يفعلون ، وكان ذلك يأتي تأكيدا لرأى الشيوعيين الذي لا يسر في الإسلام والمسلمين .

بل إن المقطع الوحيد الذي تصور فيه الرواية أبطال الاستقلال في الجزائر وهم يهبطون من الجبال ؛ يكبرون وعلى صدورهم مصاحف عربية يبدو هذيانا ساخرا من هذا الماضي المجيد والعظيم ؛ الذي سجله التاريخ بحروف من نور لشعب مسلم هزم عدوه بعد قرن وثلاثين عاما .

ثم إن الرواية تقدم لنا شخوصها في سلوكهم الإنساني مجرد حيوانات يحركها العامل البيولوجي (الطعام والجنس) فحسب ؛ مع أن الأبطال الأساسيين يفترض أنهم أيديولوجيون قبل أن يكونوا بيولوجيين .

٢- ضد الأدب الإسلامي

أسلوب الوليمة !

من المؤسف أن بعض الناس يتصور نفسه فوق الناس ، فينتقص من أقدارهم ويقلل من إمكاناتهم ، ويدعى لنفسه وحده حق الفهم الصحيح والتأويل الصائب ، وهذا ما فعله بعض المثقفين المنتمين للسلطة في إطار تفسير رواية " البورنو " البذيئة " وليمة الأعشاب البحر " ؛ فزعموا أنه ليس من حق القراء ولا النقاد الآخرين تفسير الرواية النجسة بما يخالف تفسيراتهم الأكاديمية المزعومة ، والقدرة الإبداعية على التفسير والتأويل القريبين من الحقيقة . وبصرف النظر عن الاستعلاء المرذول الذي يمارسه هؤلاء الموالين للسلطة ؛ فإن غالبية القراء والنقاد البعيدين عن ذهب وزارة الثقافة وجوائزها ومناصبها ومغانمها ؛رأوا أن الوليمة هي طعام حرام على مستوى المضمون والتشكيل في آن واحد .

وقد تعرضنا للمضمون في مناسبة أخرى ولكن لا بأس من إيجازه في كلمات قلائل فحواها أن الرواية تحكى صراع الماركسيين العراقيين مع السلطة في بغداد واستخدامهم للعنف والإرهاب في مجال تحقيق حلم الطبقة الكادحة ، ولكن هذا الصراع ينتهي بهزيمة الماركسيين ، فيذهب بعضهم إلى الجزائر ليسجل تحول الانتصار الذي حققته الثورة الجزائرية إلى فساد وطغيان ونهب وضياع لكثير من الثوريين . وفى سياق الرواية يجدف الأبطال الروائيون في حق الذات الإلهية ويسيئون إلى الرسول صلى الله عليه وسلم والمقدسات الإسلامية ويسخرون من الإسلام والفتوحات الإسلامية والرموز الدينية ، بل يطالب بعضهم بتنحية الإسلام عن الحياة بوصفه جلدا باليا ارتداه العرب أربعة عشر قرنا من الزمان !

هذا المضمون الإرهابي البشع يصنعه الكاتب الشيوعي الطائفي - من الطائفة النصيرية أو العلوية في الشام - في إطار مهلهل وبناء مفكك ، يعتمد على الخطابية والمباشرة وحضور صوته - صوت الكاتب - بصورة تجعل الوليمة الحرام منشورا سياسيا زاعقا أكثر منها فنا أدبيا راقيا أو رواية متكاملة كتبها أديب موهوب . إن أسلوبها ينضح بالبرود والجفاف ويخلو من رواء الفن وعذوبته .

إن الخطابة والمباشرة في العمل الأدبي من العيوب الخطيرة ، وتمثل صوت المؤلف أكثر من تمثيلها لصوت الشخوص أو الأبطال ، ولعل هذا ما جعل الرواية منشورا أو مقالا مطولا للغاية يطعن في الإسلام ويتحدث عن الجنس وممارسته الفجة والمقززة ، ومن المفارقات أن بعض النقاد الحداثيين ظهر على شاشات بعض الفضائيات العربية ليعلن إنها من أفضل

الروايات التي كتبت في العالم العربي على مدى السنوات الأخيرة . ويبدو أن استخدام افعل التفضيل لدى الحداثيين العرب صار خصيصة أساسية يحكمون بها على من يتعصبون لهم أو ضدهم ، فالأولون يحظون بالأعظم والأحسن والأفضل ، والآخرون يكون نصيبهم دائما الأردأ والأسوأ والأقبح .

كي لا نذهب بعيدا فهناك بعض الأمثلة القليلة على الخطابية والمباشرة في الوليمة . يتحدث الراوي عن الشيوعية وغيرها من الأديان والشرائع والمذاهب فيقول :

التاريخية التاريخية هذا ما كان يردده في أصل كل حوار . لقد كان مقتنعا أن اكتشاف ماركسي الأساسي – كذا ! - يكمن في المادية التاريخية لأن الجدل قديم منذ هيراقليطس ، أما هيجل فقد بلوره فيما بعد هذه التاريخية في منهجه . كانت توصله إلى الواقع والخصوصية الذاتية لكل شعب وكل أمة وانطلاقا من هذه التاريخية كان يرى الحلقات والحقب الثورية : ثورة الرسول محمد والحركات السرية المضادة بعد تدجين الإسلام . انتفاضة الزنج ثم القرامطة ومن هذه النافذة سيثب يوما أعماق الهور بحثا عن بقايا هؤلاء .

هكذا كان الشيوعيون الأرثوذكسيون وخريجو اليسوعيات السوفياتية يرون فيه اختلافات تحريفية ولوثات قومية مختلطة بجراثيم أجداد منقرضين ، لكنه كان يقول بأن هناك التباسا في الأمور وخللا في الوعي التاريخي ...الخ ص ٨٦/ ٨٧ .

بداية هذا القول وامتداده عبارة عن مقال حول الشيوعية يمكن اجتزاؤه ونشره منفصلا دون أن يتغير السياق وفى هذا المقال ما فيه من تخليط ووصف للإسلام بالثورة بينما هو وحى من السماء ، ثم إشادته بحركات المنحرفين المضادة للإسلام : الزنج والقرامطة ودعوته للشيوعية الأرثوذكسية ...الخ

ما علاقة ذلك بالسرد الروائي والبناء الفني ولنقرأ مثلا فقرة وردت في حوار على لسان واحدة من الشخصيات .تجيب عندما سألها البطل عن جنون شخص آخر .

" لا افهم عليه عندما يتحدث رأسه مليء باختلاطات وسخافات ربى لا يدركها ، يخلط الفلسفة بالسياسة بالشعر بالدين بالطبيعة . إنه يحدثني دائما عن شيء يسميه انثروبولوجيا العربي وراسك مهدي ما معنى هذه الانثُروبولوجيا اللعينة ؟ " ص ١٨٧.

إن لغة القص تميل إلى العامية أو اللهجات الدارجة ، وتأمل عبارة لا أفهم عليه في الفقرة السابقة وصياغتها الركيكة ، وتأمل الإساءة إلى الذات الإلهية في عبارة " ربى لا يدركها " . ثم إنه يستخدم في ثنايا الوليمة مقاطع طويلة من حوارات عامية باللهجتين العراقية والجزائرية وهما غير مفهومتين بالنسبة لبقية الشعوب العربية .

هناك بالطبع قضايا عديدة لا يتسع المجال هنا لتناولها ، ولكنها في مجملها تكشف عن كاتب متواضع القيمة الفنية رديء التصور الفكري ، خدمته ضجة العلمانيين واليساريين المعادية لمفاهيم الأمة وقيمها وتصوراتها ، ولعله يتاح مستقبلا أن نقدم دراسة نقدية مستفيضة توضح جوانب القصور الفكري والفني في الوليمة الحرام .

٣- ضد الأدب الإسلامي

جنرال الثقافة ينتصر!

استطاع فاروق حسنى وزير الثقافة المصري (تمت إقالته في ثورة الخامس والعشرين من يناير ٢٠١١م بعد قضاء ما يقرب من ربع قرن في الوزارة فسادا وإفسادا !) ، أن ينتصر على خصومه جميعا وأن يلقن الظلاميين ؛ أي الإسلاميين درسا لن ينسوه وهو أنه فوق النقد والنقاد ، ولن يستطيع أحد أن يقيله من منصبه مهما كانت الأحداث أو الجرائم التي يرتكبها في حق الثقافة القومية أو المقدسات الإسلامية ، وقد أعلن بنفسه انه فوق الإقالة والاستقالة جميعا .

وقد استطاعت جريدته " القاهرة " أن تقنع المسئولين أولى الأمر أن الجريمة الحقيقية ليست قيام وزارة الثقافة المصرية بنشر رواية بذيئة من نوع البورنو وتجدف في حق الله وتسيء إلى القران الكريم وتنال من الرسول - صلى الله عليه وسلم - ولكنها تتمثل في الجريدة المعارضة التي نبهت إلى هذا الكتاب الشاذ ، وطالبت المعنيين بعقاب من نشروه وأذاعوه بين الناس ، وقدموا من خلاله صورة من أحط الصور للابتذال والإباحية والوقاحة ضد الله والمقدسات الإسلامية .

ولا شك أن معركة الرواية البذيئة قد كشفت أبعادا عديدة يمكن إجمالها في النقاط الآتية :

أولا :

أن الوزير أعطى ولاءه وانتماءه الكاملين للثقافة الغربية بكل تجلياتها القبيحة والبشعة ؛ حيث دافع عن الرواية النجسة واستمع لصوت مستشاري السوء من العلمانيين والشيوعيين الكارهين للإسلام ، لدرجة أنه استبق تقرير اللجنة اليسارية التي شكلها لفحص الرواية وكتابة تقرير عنها وأعلن أن الرافضين للرواية اقتطعوا من سياقها بعض الجمل وحكموا عليها من خلال هذه الجمل ؛ في حين أثبتت القراءة المحايدة أن الرواية بذيئة وسافلة ولا يجوز أن تنشر بأموال الشعب المتدين المؤمن بالأخلاق والآخرة ، وهو ما ترتب عليه خروج طلاب الأزهر في مظاهرات .

ثانيا :

أن الشيوعيين والعلمانيين في العالم العربي جماعة واحدة ضد الإسلام وقيمه ، وقد تضامنوا بالقول والفعل مع رفيقهم مؤلف الرواية ورفاقهم الذين نشروها ؛ ليس حبا فيهم بقدر ما هو بغض للإسلام والمسلمين . وقد أعلن بعضهم صراحة أن مصر دولة علمانية أو يجب أن تكون كذلك ، علما أن الدين الرسمي للدولة هو الإسلام بنص الدستور .

ثالثا :

كشفت المعركة عن مدى التغلغل الشيوعي العلماني في أجهزة الثقافة والصحافة والدعاية ، فقد كانت معظم الأقلام والمتحدثين ضد الإسلام والمؤمنين به من الشيوعيين والعلمانيين وأشباههم ، كما كشفت رفضهم للإسلام ومعطياته ، وذلك من خلال تسميته بالإظلام وتسمية المسلمين بالظلاميين ، وذهب بعضهم إلى تكفير المسلمين من خلال اتهامهم بأدعياء الإسلام أو المتسترين بالدين أو بالمتاسلمين ! والمفارقة أن الشيوعيين لا يكفون عن اتهام الغير بتهمة تكفيرهم وإخراجهم من الملة ؛ مع أنهم يفخرون بذلك في كل المناسبات ، ويتكلمون عن العلمية والعلمانية وعن ضرورة إبعاد الدين عن السياسة والاقتصاد والمجتمع وقصره على المساجد والزوايا .

رابعا :

أسقطت المعركة الأقنعة التي كان العلمانيون والشيوعيون يتقنعون بها وخاصة حديثهم عن حرية الفكر وحرية الإبداع ، فقد منعوا الآراء المغايرة لآرائهم من النشر أو الظهور إلا نادرا ، وإذا سمحوا برأي معارض لهم نشروه بطريقة مهينة وعقبوا عليه تسفيها وتحقيرا لدرجة جاءت معها الموضوعات جميعا ، وكأنها تتبنى وجهة نظرهم وتؤيدها . والطريف في الأمر أن السلطة حين أغلقت جريدة الشعب التي فجرت القضية خفتت الأصوات وجفت الأقلام وطويت الصحف إلا من الشماتة الصريحة أو الشماتة المكتومة أو الشماتة التي تعلن عن الأسباب والمسوغات التي تمنح السلطة حق ذبح الصحيفة والحزب الذي يصدرها .

خامسا :

لا شك أن فريق المنتفعين وأصحاب المصالح وجدوا أن الوزير هو الجواد الرابح الذي يراهنون عليه ، وقد وجدنا بعض الناس يغيرون جلودهم طمعا في ذهب الوزارة وخيراتها الكثيرة ، ويتنكرون لقيم الإسلام وأخلاقه ، ويضحون بالمقدسات والآداب العامة في سبيل مصالحهم ومنافعهم .

والمفارقة أن بعض خصوم الوزير وقفوا معه في معركة الرواية البذيئة ليستعيدوا مصالحهم المفقودة ومنافعهم الضائعة لديه ولدى وزارته .

سادسا :

كشفت المعركة أن هيئة قصور الثقافة تعانى قصورا شديدا في الثقافة والوعي بمصالح الأمة ، بل إنها تخدم أعداء الأمة بما تنشره من أفكار ونماذج غير أدبية ، وباستثناء عدد قليل من قيادات هذه الهيئة فإن الأغلبية

الساحقة من مسئوليها لا تمثل الفكر المعتدل ولا الأدب الراقي ولا الإبداع الجيد .

إن معظم السلاسل التي تصدرها الهيئة يتولاها قوم محدود الثقافة والفكر وبعضهم من حملة الإعدادية والدبلومات الفنية المتوسطة ، وكثير منهم لا يستطيع أن يصوغ عبارة أدبية سليمة خالية من أخطاء الإملاء والنحو والصرف والتركيب ، وأحد رؤساء تحرير إحدى هذه السلاسل عامل في مكتب تلغراف ، ومع ذلك يصفونه بالكاتب الكبير والكاتب الجميل وهو لا يعرف الفارق بين اسم إن وخبر كان ، مؤهله الأعظم هو انتماؤه اليساري .

سابعا :

لم أكن أتصور أن الشيوعيين وأصحاب المصالح لديهم هذه القدرة الخارقة على تسويد الصفحات ، وخاصة صفحات جريدة الوزير ومجلة المصور والمجلة الموالية لليهود ، بهذا الكم الهائل من الأكاذيب والبذاءات والشتائم الرخيصة التي وجهوها للإسلام والمسلمين تحت مصطلح الظلام والظلاميين ؛ مما يعنى أن القوم لا يؤمنون بشيء اسمه الحوار أو الجدال بالتي هي أحسن ، فالذي يحاور لا يشتم ولا يسب ولكن الطبيعة الاستبدادية لهؤلاء القوم تغلب عليهم وإن تظاهروا بعكسها .

ثامنا :

كشفت الأحداث أن شعبنا متمسك بدينه مهما كان الثمن الذي سيدفعه ، وأن دعاه استئصال الإسلام لن ينجحوا مهما أوتوا من قوة ، والدليل على ذلك رد الفعل الشعبي والعفوي الذي عبرت عنه مختلف الجهات الرسمية والشعبية رفضا للإباحية ، وسخطا على النيل من المقدسات .

تغريب الأدب .. أسلمة الأدب

تغريب الأدب يعنى نقله من التصور الاسلامى ينطلق من التوحيد الخالص للخالق جلا وعلا ، والإيمان بالإسلام كما ورد في القران الكريم والسنة المطهرة، إلى التصور الأوربي يقوم على المادية الوثنية ، مع أنه يزعم أنه يؤمن بالكاثوليكية والبروتستانتية ، ولكن عقيدته الحقيقية تحبذ الاستعلاء والعنف والعنصرية والهيمنة على الآخرين واستحلال مواردهم ونهب خيراتهم ، ثم إن هذا التصور يطرح جانبا قيم الوفاء والشرف والحياء والطهارة والاستقامة بمفهومها الإسلامي .

وقد تعرض أدبنا العربي الإسلامي منذ الحملة الانجليزية على مصر ١٨٨٢ م والحملة الفرنسية على الجزائر في عام ١٨٣٠ م إلى عملية تغريب واسعة في التصور والمفاهيم ، وتجدر الإشارة هنا إلى الفارق بين التغريب الذي يجعل الأدب تابعا للتصور الغربي ، والتفاعل الذي ينتج عن احتكاك الآداب ببعضها والتأثر المتبادل فيما بينها وخاصة في الجوانب الفنية التي تخص الأجناس الأدبية . التفاعل مقبول وتطور طبيعي للآداب ، أما التغريب فهو نقل وتقليد وتبعية لا يراعى قيم الأمة الفكرية والخلقية والاجتماعية فضلا عن العقيدة الدينية .

وسوف أكتفى هنا بمثالين للتفاعل والتغريب أسجلهما بإيجاز شديد :

الأول :

ما فعلته مدرسة الديوان في الشعر العربي الحديث حين تأثرت بالمدرسة الرومانتيكية في الأدب الأوربي الإنجليزي والفرنسي خاصة ، وقد قرأت هازلت وسانت بوف وغيرهما قراءة تفاعل واستيعاب ؛ خرجت بعدها بإضافات مهمة لشعرنا العربي الحديث في مجال التجربة الشعرية والوحدة العضوية في القصيدة .

الآخر :

ما قام به الحداثيون العرب وأقصد بهم أتباع الحداثة بمعنى المذهب الفكري وليس التجديد ؛ فقد أسرفوا على أنفسهم وعلى الناس حين اكتفوا بنقل ما لدى الآخرين في أوربة وأمريكا . وطالبونا نحن القراء أن نتقبل كل هذا النقل بكل ما فيه دون انتقاء أو تفاعل أو هضم ، بل أسرفوا على أنفسهم وعلى الناس حين تابعوا الحداثة الأوربية ، ودعوا إلى الانقطاع عن الماضي بكل ما فيه من عقيدة وتراث وتاريخ وقيم وتقاليد ، وطالبوا ببناء منظومة جديدة من أفكار الحداثة الأوربية ولو تعارضت تماما مع ديننا وتاريخنا .

من هنا كانت الدعوة إلى أسلمة الأدب أو الأدب الإسلامي أو أدب المسلم مسألة ضرورية وطبيعية وهى تحتاج إلى تفصيل .

مجلة الأدب الإسلامي

تعرض الأدب العربي والآداب الإسلامية عموما في القرنين الأخيرين إلى موجة شديدة من التغريب ؛ استجاب لها العديد من الأدباء والشعراء ، مما ترتب عليه أن تصبح آداب الشعوب الإسلامية ومن بينها الأدب العربي مجالا للمسخ والتشويه والتعبير بمنظور غريب يختلف عن المنظور الاسلامى بل يتناقص معه ويتصادم ..

ومن ثم فقد جاءت الدعوة إلى الأدب الاسلامى أو أسلمة الأدب العربي وأدب الشعوب الإسلامية المكتوب بغير اللغة العربية ؛ ليعود هذا الأدب إلى مسيرته الأولى منذ البعثة المحمدية حتى هبوب موجة التغريب ، وهى مسيرة التصور الاسلامى الخالص الذي يؤكد على دور الأدب في خدمة الأمة والدعوة جميعا ، بعيدا عن دعاوى التغريب والانسلاخ عن هوية الإسلام ، وارتقاء بالصياغة الأدبية عن الإسفاف والنماذج الرخيصة والركاكة اللغوية والتعبيرية .

اقتضت الدعوة إلى الأدب الإسلامي جهودا شاقة وزمنا طويلا ، ومازالت تقتضى المزيد لترسيخ الدعوة وتعميمها وبخاصة أن القوى المعادية تقوم بمواجهة مضادة لنشر القيم غير الإسلامية في الأدب وتشجيع أصحابها بالجوائز والدعاية وفتح مجالات التعبير الرحبة أمامهم .

بيد أن خطوات الأدب الإسلامي تحرز مع كل الصعاب مزيدا من النجاح وتكسب كل يوم أرضا جديدة تعزز مسيرة هذا الأدب وتدعمها ، وكان صدور مجلة الأدب الإسلامي عن رابطة الأدب الإسلامي العالمية من الخطوات الناجحة الباهرة ، حيث استقبلها الجمهور المتعطش لكل ما هو قيم ونبيل ومضيء بالترحيب الواسع والدعم الواضح . فقد نفدت الأعداد الأربعة الأولى التي صدرت على مدى عام ، وتشكو بعض البلاد العربية من قله المعروض للتوزيع فيها مع تضاعف سعر الجملة ، ويشكو عديد من الأدباء والقراء لأنهم لا يعثرون عليها لنفاد نسخها بعد وقت قليل من صدورها .

إن مجلة الأدب الاسلامى تحمل الإنتاج الأدبي المكتوب باللغة العربية والمترجم إليها من آداب الشعوب الإسلامية غير العربية ؛سواء كان قصة أو شعرا أو مسرحية أو دراسة أدبية أو حوارا مع الأدباء الإسلاميين المرموقين . وهذا الإنتاج يبتعد عما ينتجه الموالون للتصورات غير الإسلامية ، ثم إنه يتسم بالإحكام الفني والسمو الموضوعي ، ويحتضن قضايا الأمة وهمومها ويبشر بانتصارها وتحقيق آمالها على أسس علمية

وعقدية ، يثق في صدقها ونقائها كل المؤمنين بالإسلام وعطائه المثمر والمغدق .

إن مجلة الأدب الاسلامى بشير أمل عظيم في حياة أدبية قاحلة ، تحتضن الكلمة المتوضئة ، وتتبنى البراعم المؤمنة وتسعى إلى خير المسلمين أجمعين .

مفهوم الأدب الإسلامي ودليل الناقد الأدبي

في طبعته الثانية يقدم دليل الناقد الأدبي ، وهو معجم معاصر لأهم المصطلحات والتيارات النقدية المتداولة ، أعده ميجان الرويلى وسعد البازعى ، إضاءة أكثر من خمسين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا . صدر الدليل عن المركز العربي في بيروت والدار البيضاء ٢٠٠٠ ، وتتمثل ميزة هذا الدليل في حياديته وصياغته ، وهو ما تفتقده معاجم كثيرة تصدر عن أيامنا حين تغفل ما يتعارض مع توجهات أصحابها وأفكارهم ورؤاهم ، وحين تفتقد القدرة الأدبية على الإبانة والإفصاح .

إن الساحة النقدية العالمية تموج بالكثير من التيارات والاتجاهات ، ومعظمها يبلور واقعا اجتماعيا وثقافيا متميزا يخالف الواقع الاجتماعي والثقافي في أماكن أخرى ، وهو ما يفرض على الباحث أن يقدم فكرة متكاملة عن التيار أو الاتجاه بغض النظر عن صلاحيته أو عدم صلاحيته للغة المغايرة التي لم تنتجه .

إن حيادية الباحث أو المترجم أو الكاتب إزاء المصطلحات الأجنبية بل والمحلية مسألة أساسية ؛ طالما كان الأمر يدخل في دور التعريف والتقديم.. أما الانحياز فهو من واجبات صاحب الموقف الذي يعبر عن رؤية خاصة وتوجه متميز . لقد افتقدنا في العديد من المنشورات التي تطالعنا حول التيارات والمصطلحات النقدية المعاصرة عنصر الحياد والمعرفة الخالصة ، ورأينا بدلا من ذلك انحيازا وتشويها يتجاوز الواجبات العلمية إلى مجال الترويج والدعاية ، مما جعل الشك يتلبس القارئ حين يطالع معجما أو دراسة حول تيار جديد أو مصطلح غير مسبوق خاصة وأن البعض يتعمد عن سابق قصد إهمال بعض المصطلحات أو التيارات ؛ متصورا أن ذلك لا يشكل جريمة علمية ، وأنه حر في إثبات ما يريد وإغفال ما لا يحب ، وهذا ضد الأمانة العلمية في كل الأحوال .

لقد تجنب دليل الناقد الادبى هذا المنزلق واجتهد في الإحاطة بمعظم التيارات والمصطلحات السائدة في الساحة الثقافية ، بل إنه لم يزعم لنفسه الإحاطة والشمول ، وأكد في العنوان الفرعي أن الدليل إضاءة لأكثر من خمسين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا ؛ في الوقت الذي يدعى فيه آخرون أنهم أحاطوا وشملوا وجمعوا ومنعوا .

ولعل مصطلح الأدب الإسلامي يدحض هذا الجمع والمنع وذلك الشمول والإحاطة ، فعلى حد علمي لم يتناول معجم معاصر سواء كان مستقلا أو ملحقا ببعض الدراسات والترجمات مصطلح الأدب الإسلامي اللهم إلا دليل

الناقد الادبى ، وهذه ميزة تحسب لصاحبيه من خلال ما وصفته بالحيادية .

لقد أشار الدليل إلى المصطلح وشيوعه في العقدين الأخيرين من القرن العشرين للدلالة على لون من الأدب المنتج في البلاد العربية والإسلامية يتأسس على العقيدة الإسلامية وما تتضمنه من تصور للوجود ، ويسعى لتمثلها فيما يصدر عنه سواء على مستوى القضايا والاهتمامات أو على مستوى الشكل واللغة والقيم الجمالية عموما ، وينطلق النقد المصاحب لذلك الأدب من الأسس الإسلامية نفسها في الوقت الذي يسعى فيه إلى ترسيخ تلك الأسس وإشاعتها ودراسة الأدب المنتج وفق تصوراتها ونقد ما يخالف تلك التصورات .

ثم يناقش الدليل مفهوم أدب الشعوب الإسلامية وعلاقته بالأدب الإسلامي ، ويورد لمحه تاريخية حول المصطلح الذي ارتبط بالدفاع عن الإسلام في مراحله الأولى ، ثم امتد ليتمثل العقيدة أو التصور الإسلامي للوجود والعلاقات الإنسانية وما إليها ، مما يجعل دائرة الأدب الإسلامي تتسع مكانا وزمانا عما تبدو عليه في بعض الكتابات المعاصرة .

ويورد الدليل جهود بعض المنظرين لمفهوم الأدب الإسلامي والزوايا التي نظروا منها لتحديد معالمه وأسسه ، وبعض الزوايا التي اهتموا بها مثل الأدب الإسلامي المقارن ، ونقاط الالتقاء بين ألوان الأدب الإسلامي التي تقدم ملامح صادقة عن الشعوب المختلفة التي اتخذت الإسلام دينا .

وإذا كان الدليل قد أبدى موضوعية وتسامحا في حديثة عن التيارات النقدية ومصطلحاتها ، فإن لغته قد تجاوزت اللغة الركيكة المعقدة التي تشيع الآن حول هذه التيارات في المؤلفات والدوريات المهتمة بالنقد الادبى ، وخاصة لغة الأشقاء في شمال إفريقية الذين تكاد لغتهم تمثل ترجمة ركيكة لما يترجمونه أو يطالعونه من قراءات أجنبية وخاصة في الأدب الفرنسي .

إن لغة الدليل واضحة ومتماسكة ، وتحاول بقدر الإمكان أن تزيل الإبهام والغموض واللبس الذي تفرضه لغة النقد السائدة المعتمدة على الترجمة الركيكة والمضطربة .

ثمة إضافة مهمة قدمها دليل الناقد الأدبي في طبعته الثانية ، وهى تقديم قراءة موجزة لمسيرة النقد العربي الحديث وتفاعله مع النقد الغربي ، وتسعى هذه القراءة إلى محاولة للتقويم مع التحليل لبعض وجوه التفاعل والتأثر من خلال رؤية عربية في الأساس ، وهى محاولة لها بعض النظائر على نطاق أوسع في بعض الرسائل الجامعية . وقد أتيح لي أن أناقش بعضها مؤخرا ، ولكنها في كل الأحوال قد تقود إلى حركة أعمق لتقويم الواقع النقدي العربي والخروج به إلى دائرة الفعل أكثر من دائرة الانفعال .

هناك فهارس عديدة ومهمة في الدليل للمصادر العربية والأجنبية والأسماء الواردة في الدليل للعجم والعرب ، وكنت أتمنى أن تكون المصادر ملحقة بكل مادة يعالجها الدليل لتيسر للقارئ أو الباحث فرصة التعرف المباشر على مزيد من المعرفة حول المادة التي يريد التعامل معها ، ولعل ذلك يتحقق في طبعة تالية .

تبقى التحية للمؤلفين الفاضلين وأحدهما سعد البازعى صديق عزيز عرفت فيه القارئ الجاد والباحث .

حوار الفقيه والأديب

على شاطئ الأطلنطي – الملتقى الدولي الثالث للأدب الاسلامى

في الوقت الذي كانت فيه القاهرة مشغولة بمكافحة كتابات القبح والدمامة والأعضاء التناسلية ، كانت هناك محاولة مغايرة على شاطئ المحيط الاطلنطى في مدينة أغادير بالمغرب ؛ للارتقاء بالكتابة الأدبية جمالا وفنا وفكرا ومضمونا ، من خلال التصور الاسلامى . كان العاطلون عن الموهبة والباحثون عن الشهرة في أرض الكنانة يثيرون الزوابع من حولهم بمنشوراتهم الرديئة وبياناتهم الابتزازية حول الإبداع وحرية التعبير ، وكان المثقفون والباحثون والموهوبون يعملون في إخلاص من أجل حوار منهجي راق لخدمة الفن الأدبي الإسلامي الذي يأخذ بيد الأمة إلى آفاق البهجة الروحية والمتعة الحقيقية .

مدينة أغادير ومعناها بالأمازيغية : الحصن أو القلعة أو المكان المرتفع ؛ تقع في حضن جبال الأطلس هادئة وادعة يؤمها السياح الأجانب من كل مكان ، وتشيع فيها الفرنسية والأمازيغية لدرجة أنى تذكرت بيت المتنبي الشهير : " ولكن الفتى العربي فيها .. " ، ومع ذلك وجدت العروبة المسلمة - إن صح التعبير - تجمع بين العربي والأمازيغي وتسطع على ألسنة الجميع في جامعة ابن زهر ، وتحديدا في كلية الآداب والعلوم الإنسانية التي استضافت الملتقى الثالث للأدب الإسلامي ، ورحبت بضيوف الأمة الإسلامية من الهند والعراق والإمارات والسعودية وسورية وفلسطين وتركيا والجزائر والمغرب ، وعقدت المؤتمر تكريما للرائد الأدبي أو الأديب الرائد محمد المختار السوسى ؛ صاحب المؤلفات العديدة فى الأدب والتاريخ .

كان موضوع المؤتمر النقد التطبيقي بين النص والمنهج ، وقبل أن أشير إلى بحوث المؤتمر أود أن ألمح إلى دور الرجل الذي كرمه المؤتمر لدوره فى الجهاز الوطني ، وإعلاء شان الإسلام وتجميع العناصر الوطنية فى مواجهة الحكم الاستعماري لمراكش . لقد رفض إغراء المناصب الرسمية التي لوح بها الحكام المستعمرون فنفوه إلى مسقط رأسه سنة ١٣٥٥ هـ حيث قضى تسع سنوات غريبا ممنوعا من الاتصال بالأجانب ، بل بأبناء بلده وبقى بعيدا عن طلبته وأصدقائه من العلماء والأدباء منكسر القلب ، لكنه لم يستسلم وجمع همته للتأريخ للمنطقة التي ينتمي إليها وهى وادي

سوس التي اشتهرت فى التاريخ بكثرة العلماء ووفرة الأدباء ؛ وتمسك أهلها بالشرع الاسلامى .

وحرص محمد المختار السوسى على التأكيد لتلاميذه ومحبيه وشعبه أن المغاربة على اختلاف ألسنتهم انصهروا فى بوتقة واحدة هي الإسلام واللغة العربية . لقد سمح له بالعودة إلى مراكش ١٣٦٤ هـ فعاد إلى سابق عهده بها مستأنفا نشاطه التعليمي والتربوي والأدبي ، وقد اعتقل مع الوطنيين لمدة سنتين بعد أن نفاه الحكام المستعمرون إلى الصحراء الشرقية ؛ فاستفاد في هذه الفترة بمراجعة حفظ القرآن الكريم ، وتابع التأليف والكتابة ، وقد أطلق سراحه بعد الاستقلال وعين وزيرا للأوقاف فى أول حكومة مغربية مستقلة ، وشغل بعد الوزارة منصب القاضي الشرعي للقصور الملكية حتى وفاته عام ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٣ م ، تاركا وراءه تراثا أدبيا وفكريا عظيما .

لقد خصصت الجلسة الخامسة للملتقى الدولي الثالث للأدب الاسلامى لتناول محمد المختار السوسى مبدعا وناقدا ، وقدم الباحثون محمد خليل والبشير التهالى وعبدا لله الدرقاوى ومحمد الحاتمي والمهدي السعيدى وأحمد أبو القاسم ؛ دراسات متكاملة تناولت جوانب الإنتاج الأدبي والفكري المتنوعة لدى السوسى ، وقد اتسمت بالجدية والعمق والثراء المعرفي فكانت إضافة علمية حقيقية فى مناسبة تكريم الرجل ابتعدت عن الاحتفالية والإنشائية التي تطغى أحيانا على مثل هذه المناسبات .

الجلسات الأربع الأخرى حاولت – ونجحت – فى معالجة الموضوع الرئيسي للملتقى وكانت محاورها على النحو التالي : النقد التطبيقي إشكالاته ومفاهيمه – النقد التطبيقي والشعر – النقد التطبيقي والسرد . وقد شارك فى هذه المحاور الباحثون : عماد الدين خليل- عباس أرجيله - وليد قصاب -عبد الرحيم الرحمونى - صالح أزوكاى - مصطفى رمضاني - عمر بوقرورة - محمد زرمان - إدريس بلمليح - العربي المنزيل – بو جمعة جيمي - محمد ناجى - عبد الجليل هنوس- عبد الرحمن حوطش - محمد ألامين - محمد الواسطى- جابر قميحة - محمد الحسناوى- محمد خضر عريف - خديجة الفيلالى - محمد بلاحى - لطفي أوغلو عوني - سعد أبو الرضا - محمد بسام ساعي - حلمى محمد القاعود- عبد السلام أقلمون- محمد إقبال عروى - محمد بن عيسى با طاهر- محمد همام .

وكانت المناقشات والتعقيبات مثالا للمنهجية والتفاعل الحي الخلاق الذي أوضح كثيرا من الالتباسات التي ربطت بين الأدب الإسلامي والوعظ الجاف أو الفج ، وأثبتت الدراسات والتعليقات أن الأدب الإسلامي فن متكامل يخضع للقيم الفنية والتقاليد الأدبية ، وان العلاقة بين الفقيه والأديب

ليست علاقة تناقض كما تصور البعض ؛ فكثير من الفقهاء ومشاهيرهم فى تاريخ الإسلام كانوا أدباء وشعراء ونقادا ، وما أكثر الشعر الذي يحفظه الناس للإمام الشافعي ، ويستشهدون به ، وما أكثر النصوص التي يرددها الناس للحسن البصري ، وما أكثر القواعد النقدية التي يعتمد عليها الدارسون للإمام الفقيه القاضي ابن قتيبة الدينورى .

وإذا كان البعض هنا أو هناك يرى أن الأدب الإسلامي فن مستحدث أو قاصر ، فقد أكدت الأبحاث على ارتباط الأدب الإسلامي بتاريخ الإسلام منذ ظهوره ، وعلى اعتماده أساسا ودائما على الصيغ الفنية التي تقترب به من الجمهور . إنه ثورة على الاستلاب وبؤس الأمة التي تغبشت هويتها .

كان الملتقى كما قلت فى البداية محاولة جادة للارتقاء بالتعبير الأدبي إلى آفاق رحبة وسامية تتجاوز الحضيض الذي انحدر إليه نفر من العاطلين عن الموهبة ، البعيدين عن استقامة الفكر ، وكان المغرب العربي الشقيق فضاء نقيا وصافيا تحاورت فيه الآراء فى حرية وتسامح واحترام .

إن المغرب يتمتع الآن بجو مفعم بالحرية والديمقراطية ، وفيه الآن متسع لعشرات الأحزاب والجمعيات التي تنتمي إلى ألوان الطيف الفكرية المختلفة ، ولها جميعا وجودها الرسمي المعترف به ، وكلها تعمل في إطار القانون .

والمحظور هناك مسألتان : الأولى تتعلق بشخصية الملك فلا يجوز المس به ، والأخرى ترتبط بقضية الصحراء ، والقانون لا يسمح لأحد بمخالفة التوجه العام حيث يعد الصحراء جزءا لا يتجزأ من أرض المغرب . ماعدا ذلك فأصحاب الفكر والثقافة من كل الاتجاهات والتيارات لهم أن يقولوا ما يشاءون ، لذا تكثر الصحف الحزبية والمستقلة بحيث يصعب عدها وتصدر يومية وأسبوعية أو مرتين في الأسبوع أو شهرية . وتصدر بالعربية والفرنسية ، وهذا يمثل مشكلة كبرى بالنسبة للغة أو الهوية بصفة عامة، حيث تطغى الفرنسية على لغة التعليم والصحافة والحديث اليومي والتعامل فى الفنادق والمؤسسات والبنوك والطيران .

العربية تبدو ضيفا غير مرغوب فيه فى الحركة اليومية ، وشكا لي بائع صحف وكتب ؛ يحمل البكالوريا (الثانوية العامة) أنه لا يستطيع أن يقرأ بالعربية أو يفهم معاني الجمل والعبارات كما يفهم الفرنسية ؛ حيث يقرأ بها ويكتب فى طلاقة ويسر . كنت أظن المشكلة قاصرة على الجزائر ولكنها للأسف متجذرة فى المغرب وتونس وموريتانيا أيضا ، ومن ثم تبدو أهمية التواصل بين المشرق والمغرب ، وللمصريين كما فهمت دور كبير فى حل هذه المشكلة سواء عن طريق الفضائيات أو الإذاعات أو الصحف وينتظر المغاربة من مصر والمشرق تواصلا أكبر وأعمق لدعم التوجهات

الإسلامية التي تعنى ضمنا دعما للغة العربية فى مواجهة الفرنسية أو الشعوبية التي تتم تغذيتها بأساليب شيطانية لا تكل ولا تمل .

إن المغاربة محبون لمصر والمصريين وهناك ثلاث شخصيات أساسية يتحدثون عنها أو يحبونها الإمام الشهيد حسن البنا وأم كلثوم والكابتن محمود الجوهري . كل الأحزاب والجمعيات الإسلامية تعلن عن حبها وانتمائها لفكر حسن البنا ، وإن كان الواقع قد يشير إلى درجة ما من القرب أو البعد عن هذا الفكر . وأم كلثوم تسمعها فى المقاهي أو المحلات أو السيارات وخاصة أغانيها الفصيحة أو تلك التي غنتها فى الخمسينات. ومحمود الجوهري هو قائد الصراع الكروي الذي يعشقه المغاربة فى مباريات فريقهم مع الفريق القومي المصري ،وقد اكتشفت أن للجوهري جذورا مغربية أو امتدادا فى المغرب فقد عرف سائق التاكسي الذي يقوم بتوصيلنا أنا وبعض رفقائي إلى باب مراكش فى الدار البيضاء أننا مصريون ، فعاملنا برقة بالغة ، وتكلم معنا بحرارة ، وفاجأنا أنه قريب لمحمود الجوهري ، وأوقف التاكسي بجوار الرصيف ليطلعنا على بطاقته التي تحمل فى وجهها المكتوب بالعربية اسم محمد الجوهري ، وأصر ألا يأخذ أجرته وودعنا وهو يكاد يبكى لفرط تأثره .

إن البعض منا يسعى إلى حصر علاقاتنا مع الأشقاء المغاربة وخاصة فى المجال الادبى داخل دائرة محدودة وهى دائرة التيار الفرانكفوني ، ولكن الشعب المغربي يريد علاقة عريضة وشاملة ؛ لأنه ببساطة شديدة يحب مصر وكل من فيها وما فيها .

في أغادير وضعوا على صدري شارة القدس
على هامش الملتقى الأدبي الإسلامي الثالث بالمغرب
يناير ٢٠٠١

حين هبطنا الدار البيضاء رأيت فى مطارها دنيا أخرى غير التي أعرفها في مطار القاهرة . اللغة مختلفة . الفرنسية لها السيادة بين موظفات المطار وموظفيه ، والأمازيغية " اللهجة البربرية " تشيع في التعامل اليومي ، والأنماط الغربية هي السائدة فى كثير من السلوك والعادات ، والفرنك هو وحدة الحساب فى المعاملات ، والبطاقات تعتمد في صفحتها الأولى على الحرف اللاتيني ، أما الحرف العربي فيأتي تابعا على الصفحة الأخرى وكأنه مترجم ترجمة ركيكة عن الفرنسية .

كانت الصورة كئيبة ومحزنة ؛ وزادها كآبة وحزنا حين التقيت فى مكتبة للصحف ببائع مثقف يشير إلى رأسه ويقول لي : بأسى الاستعمار هنا يا أستاذ ، وأخذ يشرح لي بين مجموعات الصحف الفرنسية والعربية التي يفترشها أمام مكتبته كيف لا يستطيع القراءة بالعربية أو كيف لا يحسن تذوق اللغة العربية ، مع أنه يحمل شهادة البكالوريا الثانوية العامة وفى الوقت نفسه يكتب بالفرنسية ، ويقرأ مثل أهلها . كان صوته يشي بما يشبه البكاء وهو يعبر عن الاستلاب الذي يعيشه وأمثاله من شعبنا المغربي الأبي ، كنت أظن الكارثة مقصورة على شعبنا فى الجزائر وبعض النخب فى تونس ، ولدى بعض الفهلوية من تجار آخر زمن يسمونهم رجال أعمال فى القاهرة ، وبعض العواصم العربية ، ولكن بائع الصحف المغربي المثقف أكد أن المأساة لها بعد عميق آخر يؤكد على انتصار اللورد كرومر وأمثاله من الإنجليز والفرنسيين بعد قرن أو يزيد من الزمان ؛ حيث تكونت نخبة عربية بالاسم ؛ غربية بالهوى والثقافة والمزاج ، تعادى دينها وتاريخها ومنجزاتها الحضارية وتتيه حبا وغراما في السيد الغربي وتجلياته ، حتى لو كانت تفيض وحشية واستبدادا وهيمنة واستخداما لليورانيوم المنضد ، وتجويعا لشعوب بأكملها ، وحصارا لها على جرائم لم تقترفها .

الاستعمار في رأسي حملة ألحت على كثيرا ، وحركت أشجاني وزادت من حنقي على أولئك الذين ينكرون الاستعمار الفكري أو الغزو الثقافي ؛ لأن الدليل العملي الحي على هذا الغزو أو ذلك الاستعمار موجود بصورة لا تقبل الجدل أو النقاش ، وهو من ناحية أخرى يفسر تلك القسوة الضارية فى مواجهة الحركات الباحثة عن الهوية العربية الإسلامية من قبل بعض

الجهات ، والنخب التي تؤثر الاستئصال على الحوار ، وتفضل الإقصاء على المشاركة .

ومع ذلك فوجئت فى الدار البيضاء وأغادير بالحركات الباحثة عن الهوية العربية الإسلامية تمنحني حلما جميلا بأمل قادم ومبشر بالخير إن شاء الله ، وفى إطار الحرية النسبية تتحرك جميع الحركات السياسية والثقافية فى المغرب ، وتعبر عن نفسها من خلال التجمعات الرسمية والصحف اليومية والدورية والنقابات العمالية والفئوية ؛ مع مراعاة بعض المحاذير التي يتفهمها الجميع .

مع بدء الانتفاضة المباركة فى الأقصى الشريف كان المغرب من شماله إلى جنوبه يمثل الدولة العربية الإسلامية التي تحركت فيها مظاهرات مليونية ، في الرباط سارت مظاهرة تزيد عن المليونين تعبيرا عن رفض الاحتلال اليهودي للقدس ، ودعما للشعب الفلسطيني في جهاده ضد اليهود الغزاة ومناصريهم من الدول الصليبية الاستعمارية ، وفى بقية المدن المغربية قامت مظاهرات أخرى ضخمة . ومعظم الصحف المغربية تتحدث عن انتفاضة الأقصى وتدعو إلى مناصرتها وتتحدث عن تاريخ الإرهاب النازي اليهودي مذ كان فكره فى المؤتمر بال بسويسرا أواخر القرن التاسع عشر حتى الآن .

الحركة الإسلامية في المغرب ، ومثلها حركات اليسار بصورة غير مسبوقة من خلال مؤتمرات وندوات وملتقيات ، تناقش فكرا وتعرض ثقافة وتطرح قضايا وتصدر مطبوعات ؛ وإن كانت حركات اليسار تتمتع بقدرة أكبر في التعبير والضجيج مع قلة أفرادها أو أعضائها المنتمين إليها ، ولعل ذلك يرجع إلى هيمنتهم على الحكومة وتمتعهم بمعظم الوزارات فضلا عن رئاستها (الوزير الأول يساري شهير).

والحركة الإسلامية في المغرب تتفرق إلى مجموعة من الأحزاب يسير معظمها وفقا لمنهج المشارقة ؛ وخاصة الإخوان المسلمون ، وان كانت هناك بعض الأحزاب التي تنحو إلى السياسة أكثر من التربية ، وتلقى جفاء من الحكومة يعبر عن نفسه ببعض المواقف المؤسفة . بيد أن الحركة في معظمها تقوم بما يمكن تسميته مقاومة الاستعمار الثقافي والتفتيت العرقي عن طريق حفظ القران الكريم وتجليه تعاليم الإسلام ونشر اللغة الفصحى والاهتمام بالقضايا الإسلامية والقدس خاصة ، وتنتشر جمعيات تحفيظ القرآن الكريم ومدارسه كما ينمو ببطء ما يسمى بالتعليم الأصيل أي تعليم الشريعة واللغة العربية التي تقابل الأزهر عندنا في ماضي أيامه وليس في حاضرها .

وفور وصولي إلى أغادير وجدت من يدعوني بإلحاح وإصرار إلى إلقاء محاضرة مع تحديد عنوانها حول الإسلام والتحديات المعاصرة . حاولت أن اعتذر فالأمر يحتاج إلى طاقة ذهنية وجسمية وظروفي تجعلني في أفضل الأحوال مستمعا لا متحدثا ،وهو ما يشكل نمط حياتي بصفة عامة ؛حيث لا أميل إلى مخاطبة الجمهور أو مواجهته ، مفضلا الكتابة أو التعامل عبر وسيط صامت : صحف ، مجلات ، كتب ؛ ففيها فرصة المراجعة والتمهل ومراعاة الأحوال اليومية والشخصية . كان الحرج سببا فى قبول الدعوة ومغادرة أغادير إلى مدينه صغيرة فى ضواحيها اسمها الدوشيرة ، وفى جمعية تحفيظ القران الكريم وجدت جمهورا كبيرا من الرجال والنساء معظمهم من الشباب ، وقدمتني المشرفة على النشاط الثقافي وهى مدرسة ثانوي ،شابة ومتدينة ، سعدتْ عندما ناديتها : أم حمزة ..حمزة اسم ولدها الوحيد ، وكان تقديمها وساما على صدري ، فقد اكتشفت أن أشقاءنا في المغرب عامة يتابعون كل كلمة تكتب فى مصر ، ولا أبالغ . ويتعلقون بكل ما يصدر عنا ، ونحن للأسف لا نعرف من المغرب إلا لاعبي كرة القدم ومدربيهم وحكام مبارياتهم .

في أثناء المحاضرة كانت العربية الفصحى سفيرا مهمّا يصل بين الأطراف المختلفة ، وظهر دور السفير جليا في التعقيبات والأسئلة ، وكانت روح الإسلام - مع وجود عناصر يسارية - تبشر ببعث جديد واستقلال جديد يزيح الاستعمار الذي مازال يسكن الرءوس والنفوس ، وعبر عن ذاته حين وجدتهم يضعون شارة " القدس لنا " على صدر سترتي في نهاية اللقاء .

ما كاد خبر المحاضرة يذيع حتى كانت دعوة أخرى تفرض نفسها لأتجاوز أغادير إلى مدينة أخرى تبعد نحو مائة كيلو متر جنوبا ، وتسمى تزنيت وهى أكبر من الدوشيرة وتحفها أرض جدباء في معظمها بسبب شح الماء، ولكن موقعها يبدو مهمّا منذ زمن قديم ، حيث تمثل معبرا إلى قلب إفريقية وتعتمد على التجارة وتعتمد على التجارة والصناعات الصغيرة ، وفيها حركة تعليمية وثقافية جيدة ووجدت فيها معلّما مصريا وحيدا يقيم هناك منذ ربع قرن تقريبا ، ويعرفه أهالي المدينة جميعا ، ويطلقون عليه اسم الأستاذ البقالى ، وقد صافحني واحتضنني مع ولديه ، وحملني السلام لأهله في الجمالية وطلب أن أقرأ له الفاتحة فى الحسين .

كانت جمعية الثقافة التي دعتني للمحاضرة قد أعدت قاعة واسعة وجدت فيها جمهورا كبيرا ولاحظت أن للمرأة حضورا فعالا حيث كان ما يقرب من نصف الحاضرين من النساء وشهدت المحاضرة مداخلات وحوارات

دلت على وعى متعاظم بما يجرى فى العالم وفى شرقنا العربي وفى فلسطين خاصة .

والظاهرة اللافتة أن الحركة الإسلامية في المغرب تجد فى نفسها الجرأة والشجاعة على دعوة المخالفين لها وخاصة من اليساريين للمشاركة فى ملتقياتها وإدارة حوار منهجي يقوم على الحجة والدليل والإحصاء ، مما يساعد على تقريب المسافة بين الفرقاء ولو على المستوى الإنساني ، ويحفز الجميع على القراءة والمتابعة والتحاور بدلا من التقوقع والعزلة والإقصاء .

لقد طرحت قضايا الأمية والفقر والعولمة والتبعية والنهب الاستعماري وغيرها وكان الشعور العام فى مجمله مشبعا بروح العودة إلى جوهر الإسلام ، والانطلاق منه لبناء عالم جديد يقوم على العقيدة الصحيحة والحرية والعدل والمساواة ، والحفاظ على الهوية الإسلامية في مواجهة الغزو الاستعماري بكافة أنواعه ، ثم ضرورة المشاركة فى صنع الحضارة الإنسانية ، والإسهام في الإبداع العالمي إسهاما ملموسا وكبيرا ، كما فعلت الأجيال الإسلامية في القرون الأولى التي مثلت انتصار الإسلام .

وكانت " القدس لنا " شارة أخرى على صدري عقب المحاضرة أسعدتني وأبكتني .. أسعدتني لأن أهلنا على مسافة خمسة آلاف كيلو متر من القدس يذكرون القدس ويعملون من أجلها ولو بالكلمة ، وأبكتني لأن بعض أهلنا ممن يسمون أنفسهم بأنصار السلام وأشباههم يطلبون منا أن نستسلم لشذاذ الآفاق ، ويخيفوننا بالمتطرفين اليهود والولايات المتحدة ، ويحذروننا من التعبير عن مشاعرنا الإسلامية تجاه القدس وفلسطين .

يا شعبنا العظيم في المغرب لقد قدمت لي الدليل أن الأمة التي حررت القدس فى عهد قطز وصلاح الدين ؛ ستحررها مرة أخرى بإذنه تعالى بأحفاد قطز وصلاح الدين ، لأن القدس لنا وفلسطين لنا ، والله غالب على أمره .

كتب للمؤلف
الأستاذ الدكتور حلمي محمد القاعود

أولا : كتب صادرة عن دار النشر الدولي بالرياض

١- النقد الأدبي الحديث: بداياته وتطوراته.
٢- تيسير علم المعاني .
٣- الأدب الإسلامي : الفكرة والتطبيق .
٤- محمد- صلى الله عليه وسلم –في الشعر العربي الحديث (طبعة ثانية منقحة ومزيدة ومجلدة وفاخرة) .
٥- المدخل إلى البلاغة القرآنية .
٦- القصائد الإسلامية الطوال في العصر الحديث: دراسة ونصوص (طبعة رابعة منقحة ومزيدة ومجلدة وفاخرة).
٧ - تطور النثر العربي في العصر الحديث .
٨- مدرسة البيان في النثر الحديث .
٩- تطور الشعر العربي في العصر الحديث .
١٠ – المدخل إلى البلاغة النبوية .

ثانيا : كتب صادرة عن دار العلم والإيمان (دسوق – كفر الشيخ) :

١- الإخوان والنظام : برنامج الحزب المستحيل .
٢ - وجوه عربية وإسلامية .
٣ - الورد والهالوك : شعراء السبعينيات في مصر (طبعة ثالثة) .
٤ - الواقعية الإسلامية في روايات نجيب الكيلاني (طبعة ثالثة) .
٥ - الرواية التاريخية في أدبنا الحديث (طبعة ثالثة) .
٦ - الرواية الإسلامية المعاصرة (طبعة ثانية).
٧ - في رياض النبوة (٣ أجزاء)
٨ - شعراء وقضايا : قراءة في الشعر العربي الحديث .

ثالثا : إسلاميات :

١ - مسلمون لا نخجل (٤ طبعات).
٢ - حراس العقيدة (٣ طبعات).
٣ - الحرب الصليبية العاشرة.
٤ - العودة إلى الينابيع .
٥ - الصلح الأسود .. والطريق إلى القدس .
٦ - ثورة المساجد .. حجارة من سجيل .
٧ - هتلر الشرق .

٨ ـ جاهلية صدام وزلزال الخليج .
٧ ـ أهل الفن وتجارة الغرائز (طبعتان) .
٨ ـ النظام العسكري في الجزائر .
٩ ـ حفنة سطور .. شهادة إسلامية .
١٠ ـ الأقصى في مواجهة أفيال أبرهة .
١١ ـ الإسلام في مواجهة الاستئصال .
١٢ ـ تحرير الإسلام .
١٣ ـ دفاعا عن الإسلام والحرية .
١٤ ـ التنوير .. رؤية إسلامية .
١٥ ـ معركة الحجاب والصراع الحضاري .
١٦ ـ العصا الغليظة .
١٧ ـ واسلمي يا مصر.
١٨ ـ ثقافة التبعية : المنهج . الخصائص . التطبيقات .
١٩ـ انتصار الدم على السيف.

رابعا : كتب أدبية ونقدية :

١ـ الغروب المستحيل (سيرة كاتب) .
٢ـ رائحة الحبيب (مجموعة قصصية عن حرب رمضان) .
٣ـ الحب يأتي مصادفة (رواية عن حرب رمضان) .
٤ـ موسم البحث عن هوية : دراسات في الرواية والقصة) .
٥ـ حوار مع الرواية في مصر وسورية .
٦ـ لويس عوض الأسطورة والحقيقة .
٧ـ الوعي والغيبوبة : دراسات في الرواية المعاصرة .
٨ـ إنسانية الأدب الإسلامي .
٩ـ حصيرة الريف الواسعة .
١٠ ـ أضواء على الرواية الإسلامية المعاصرة .

خامسا : إعلام :

١ ـ الصحافة المهاجرة : رؤية إسلامية .

سادساً: كتب للأطفال :

١ـ واحد من سبعة .

سابعاً : كتب محققة :

١ ـ فتاوى كبار الكتاب والأدباء في مستقبل اللغة العربية ونهضة الشرق العربي وموقفه إزاء المدنية الغربية .

٢- أحسن ما كتبت .

ثامنا – كتب معدة للنشر:

١- التمرد الطائفي في مصر : أبعاده وتجلياته .
٢ - الحداثة العربية : المصطلح والمفهوم (طبعة ثانية) .
٣- الإبادة والمقاومة : الشعب الفلسطيني لا يموت .
٤ - الحكاية كلها معاصرة (دراسات في الرواية) .
٥ – خبز السلطة .. خبز الحرية (الحقل الثقافي في مصر المعاصرة) .
٦ – الحلم والدهشة (قراءة أدبية) .
٧ – العمامة والثقافة : دفاع الإسلام وهجوم العلمانية .
٨ – اللحم الإسلامي المستباح .
٩ – حضرت التبعية .. وغابت الهوية .
١٠ – صالون الشعر والأدب (أعلام وقضايا) .
١١ – نداء الفطرة .
١٢ – عباد الرحمن وعباد السلطان .
١٣ – اخلع إسلامك .. تعش آمنا ؟!
١٤ – ثقافة تزغيط البط !
١٥ - محرقة غزة .. الشعب الفلسطيني يقاوم !
١٦ – القيم الإسلامية في رسائل النور .
١٧ – كهنة آمون !
١٨ – المدافعة والمداولة – قراءة في السنن والتحولات .
١٩ – الأقلية السعيدة : يوميات التمرد والتسامح !

المحتويات

استهلال .....
١- إنسانية الأدب الإسلامي ......
٢- الحرية والإبداع من منظور إسلامي ......
٣- مسمى الأدب الإسلامي ....
٤- الأدب الاسلامى عمره أربعة عشر قرنا ......
٥- أدب الوصايا والمواعظ ......
٦- الآخر والأدب الإسلامي ....
٧- ضد الأدب الإسلامي ....

٨-تغريب الأدب الاسلامى ......
٩-مجلة الأدب الإسلامي ......
١٠- مفهوم الأدب الإسلامي ودليل الناقد ....
١١- على شاطئ الأطلنطي ....
١٢- على هامش الملتقى ....